

إجلال النبي ﷺ
بين الحق والخلق
دراسة تحليلية



أ. د. عبدالرحمن إبراهيم الخميسي (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

لم يكن إجلال الصحابة رضوان الله عليهم وتوقيرهم وتعظيمهم للنبي ﷺ أمراً مصطنعاً من عند أنفسهم، ولا شيئاً مخترعاً ابتدعه ليتزلفوا به إلى النبي ﷺ من أجل غرض مادي ينالونه منه، أو مصلحة دنيوية يحصلون عليها، ولكنه كان نابعاً من عظم محبتهم له والتي يشهد لها تفديته بأنفسهم وآبائهم وأمهاتهم، وموتهم دونه، ونصرتهم له بأنفسهم وأموالهم وأهليهم، وكراهيتهم وصول الأذى إليه، وتبركهم بريقه وعرقه وشعره وبدنه ودمه ولباسه ومواضع سجوده، وكان نابعاً هذا الإجلال أيضاً من استحقاقه ﷺ لذلك، فشخص مثله بهذه المنزلة العلية عند ربه

(*) أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية كلية التربية - جامعة صنعاء - اليمن.

حيث جمع له سبحانه فضائل وخصائص لم تكن لغيره من الأنبياء والمرسلين، واصطفاه عليهم أجمعين، واتخذة خليلاً، وكلمه تكليماً، وأسرى به في ليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلى حتى وصل إلى سدرة المنتهى وسمع صريف الأقلام، وأعطاه الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد واحد، وأعطاه المقام المحمود والحوض المورود وغير ذلك، فمثل هذا النبي العظيم والإنسان المبارك الكريم ألا يستحق الإجلال والتوقير والتعظيم من أصحابه وأتباعه؟ بلى، وقد كان هذا الإجلال أيضاً نابعاً من إجلال الله تعالى لنبيه ﷺ؛ ولهذا فقد رأيت أن أبحث في هذا الموضوع إرغاماً للهاقدين والكارهين وإظهاراً لهذا الإجلال العظيم الذي ناله ﷺ من ربه أولاً ثم من أصحابه وأتباعه ثانياً، وسميت هذا البحث: (إجلال النبي ﷺ بين الحق والخلق دراسة تحليلية)، وقسمته إلى أربعة مباحث وخاتمة، المبحث الأول (إجلال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ)، المبحث الثاني (إجلال الصحابة للنبي ﷺ)، المبحث الثالث (إجلال الحيوانات للنبي ﷺ)، المبحث الرابع (إجلال الجمادات للنبي ﷺ)، فما كان صواباً في هذا البحث فمن الله تعالى وحده، وما كان خطأً فمني ومن الشيطان وأستغفر الله تعالى منه أولاً وآخرأً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

إجلال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ

وفيه: مطلبان:

المطلب الأول: إجلال الله تعالى لنبيه ﷺ ابتداءً

لقد كان إجلال الله تعالى لعبده وخليله وحبيبه ومصطفاه محمد ﷺ عظيماً وقد ذكر ذلك في مواضع عدة من كتابه منها: قوله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف: ١٥٧) ومعنى (عزروه) كما قال أهل التفسير: (أي عظموه ووقروه)^(١).

وقوله سبحانه: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (الفتح: ٩) والضمير في قوله: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ يعود إلى النبي ﷺ، وفي قوله: ﴿وَتُسَبِّحُوهُ﴾ يعود إلى الله تعالى^(٢)؛ لأنه هو سبحانه وحده المستحق للتنزيه من كل قبيح ومن كل نقص وعيب دون ما سواه.

وقوله جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٢/٢٦٥) دار المعرفة بيروت ١٩٩٤ م، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي

(١١٤/٦)، (٣٠١/٧) - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ م.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني (٥/٥٩) - دار المؤيد - الرياض

- ط الأولى ١٩٩٥ م.

غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (الحجرات: ١-٥) .

فقد تحدثت هذه الآيات عما يجب للنبي ﷺ من توقير وإجلال وتعظيم، فمن ذلك: النهي عن التقدم بين يديه ومعناه: عدم الاستعجال بالأمر والنهي والكلام، وأن لا يقطع بالأمر فعلاً أو تركاً دونة ﷺ، ومنه النهي عن رفع الصوت فوق صوته، وكثرة الكلام ومزيد اللفظ عنده؛ لأن ذلك يدل على قلة الاحتشام وترك الاحترام، وهو ينافي التعظيم والتوقير الواجب له ﷺ، ومن ذلك: ترك الجفاء في مخاطبته ولزوم الأدب في محاورته كما دلت عليه هذه الآية وآية النور: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ (النور: ٦٣) فلا ينادى باسمه، أو بكنيته فلا يقال عند مخاطبته في الحياة: يا محمد يا أبا القاسم، ولكن ينادى بصفة النبوة والرسالة فيقال: يا نبي الله، يا رسول الله في رفق ولين^(١).

قال ابن عباس في معنى هذه الآية: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً﴾ يعني كدعاء أحدكم أخاه إذا دعا أخاه باسمه، ولكن وقروه وعظموه وقولوا يا رسول الله، ويا نبي الله، ولا تصيحوا به من بعيد يا أبا القاسم^(٢).

وقال مجاهد: أمرهم الله تعالى أن يدعوه يا رسول الله في لين وتواضع ولا يقولوا يا محمد في تجهم^(٣).

وقال قتادة: (أمر الله أن يهاب نبيه، وأن يبجل، وأن يعظم، وأن يفخم ويشرف)^(٤).

ومن مظاهر إجلال الله لنبيه محمد ﷺ في كتابه الكريم أنه سبحانه أقسم

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني (٧٣/٥).

(٢) الدر المنثور في التفسير المأثور ٢٣٠/٦ لجلال الدين السيوطي - دار الفكر - ط الأولى ١٩٨٣ م.

(٣) المصدر السابق ٢٣٠/٦.

(٤) المصدر السابق ٢٣١/٦.

بحياته وعمره، وصلى عليه هو وملائكته أجمعون، وأمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه، وناداه بصفة النبوة والرسالة ولم يناده باسمه قط، وقدمه في الذكر على أولي العزم من الرسل مع تأخر زمانه عنهم، وحرم أزواجه على المؤمنين من بعده، وقدم العفو عنه عند عتابه، وجعل أذيته والسخرية منه كفراً مُخرجاً من الإسلام، وقرن اسمه باسمه، وطاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، وحرم التقدم عليه في الكلام والأمر والنهي والحكم والمشى وما في معناه، وحرم رفع الصوت فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر المرء به لأخيه، وعرج به إلى السموات العلى، وقبل مراجعته في الصلوات، وفضله على سائر الخلق، واختصه بخصائص لم يُعطهن أحداً من الأنبياء قبله.

فأما قسم الله بحياة نبيه ﷺ ففي قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)، والعمر معناه حياة النبي ﷺ.

ومعنى الآية كما قال ابن جرير الطبري وهو من أئمة التفسير: يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: وحياتك يا محمد إن قومك من قريش (لفي سكرتهم يعمهون) يقول: لفي ضلالتهم وجهلهم يترددون^(١).

وقد نقل القاضي عياض وأبو بكر ابن العربي إجماع المفسرين على أن هذا قسم من الله تعالى بحياة النبي ﷺ^(٢).

قال ابن عباس: ما خلق الله عز وجل وما ذراً نفساً أكرم عليه من محمد ﷺ، وما سمعت الله عز وجل أقسم بحياة أحد إلا بحياته فقال: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر: ٧٢)^(٣).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري ٤٤/١٤ - دار الفكر - بيروت ١٩٨٨ م.
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ٣١/١ - دار الكتب العلمية - بيروت، وفتح القدير للشوكاني ١٧٣/٣.
(٣) جامع البيان للطبري (٤٤/١٤)، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٢٧، دار المعرفة - بيروت.

وأما صلاة الله عليه هو وملائكته والمؤمنون ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

ومعنى الصلاة من الله على نبيه: هي ثناؤه عليه وإظهار فضله وشرفه وإرادة تكريمه وتقريبه، ومن الملائكة: الدعاء، ومن العباد: الطلب من الله تعالى تحقيق ما أخبر به عن صلاته وصلاة ملائكته.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وسمي هذا السؤال والدعاء منا نحن صلاة عليه؛ لأنه يتضمن ثناء المصلي عليه، والإشارة بذكر شرفه وفضله، والإرادة والمحبة لذلك من الله تعالى، ولسؤالنا من الله أن يصلي عليه، فصلاة الله عليه ثناؤه وإرادته لرفع ذكره وتقريبه، وصلاتنا نحن عليه سؤالنا الله تعالى أن يفعل ذلك به^(١).
روى البخاري معلقاً وغيره عن أبي العالية قال: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء^(٢).

وقد عظم الله الصلاة على نبيه ﷺ إجلالاً له فجعل ثواب من صلى عليه مرة أن يصلي الله عليه عشراً، وسمى النبي ﷺ من ذكر عنده فلم يصل عليه بخيلاً، ودعا عليه أن يرغم الله أنفه.
فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشراً"^(٣).

(١) جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام: لابن القيم ص ١٦٦-١٦٩، تحقيق زائد النشيري - دار عالم الفوائد ط الأولى ١٤٢٥ هـ.
(٢) البخاري بشرح فتح الباري كتاب التفسير (٣٩٢/٨)، دار الريان للتراث ط الثانية ١٩٨٧ م، وعزاه ابن حجر في الفتاح (٣٩٣/٨) إلى ابن أبي حاتم.
(٣) رواه مسلم في الصلاة باب في ثواب الصلاة على النبي ﷺ (٣٤٨/٤) رقم (٩١١) - تحقيق خليل مأمون شيجا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة ١٩٩٦ م.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي" (١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخله الجنة" (٢).

وتتأكد الصلاة على النبي ﷺ إما وجوباً وإما استحباباً في مواطن كثيرة منها:
- في آخر التشهد من الصلاة، وهو مجمع على مشروعيته بين المسلمين، وفي التشهد الأول عند بعض الأئمة كالشافعي وغيره، وفي دعاء القنوت، وفي صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية، وفي الخطب كخطبة الجمعة، والعيدين، والاستسقاء والكسوف، وبعد إجابة المؤذن، وعند الدعاء، وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند التفرق من الاجتماع، وعند ذكره ﷺ، وعند الوقوف على قبره للسلام عليه كما ثبت ذلك عن ابن عمر فعن عبد الله بن دينار قال: (رأيت عبد الله بن عمر يقف على قبر النبي ﷺ فيصلّي على النبي ﷺ) (٣).

وعند الخروج إلى السوق أو إلى دعوة ونحوها، وكان ابن عمر يخرج إلى السوق فيأتي أغفلها مكاناً فيجلس فيحمد الله ويصلي على النبي ﷺ ويدعو بدعوات (٤).

(١) رواه الترمذي في الدعوات باب قول رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل (٥٥١/٥)، رقم (٣٥٤٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب، تحقيق أحمد محمد شاكر، المكتبة الإسلامية، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان ١٣٢/٢ رقم ٩٠٦ ضبط كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٨٧ م.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات باب قول رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل (٥٥٠/٥)، رقم (٣٥٤٥) وقال: حديث حسن غريب من هذا الوجه، وأحمد (٢٥٤/٢) دار الفكر - المكتب الإسلامي ط الثانية ١٩٧٨ م، وابن حبان في صحيحه، (الإحسان ١٣١-١٣٢/٢ رقم ٩٠٥).

(٣) رواه مالك في الموطأ في قصر الصلاة في السفر باب ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ١٦٦/١ رقم ٦٨ تعليق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما جاء في جلاء الأفهام ص ٤٧٥-٤٧٦ وقال محققه: سنده صحيح.

وفي يوم الجمعة، وعند الهم والشدائد، وطلب المغفرة فعن أبي بن كعب قال: (كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه جاء الموت بما فيه قال أبي: قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت. قال: قلت: الربع؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت النصف؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قلت: فالثلثين؟ قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك. قال: أجعل لك صلاتي كلها؟ قال: إذن تكفى همك ويغفر ذنبك)^(١).

ومعنى هذا الحديث: إني أكثر الدعاء فكم أجعل لك من دعائي صلاة عليك ربع الدعاء أو نصفه أو ثلثيه أو كل الوقت أصرفه في الصلاة عليك^(٢).

ومن المواطن التي يصلى فيها على النبي ﷺ أيضاً عند كتابة اسمه في كتاب أو رسالة، ومضى على ذلك أهل العلم وكرهوا أن يرمز لها بحرف (ص) أو (صلعم) ورأوا أن ذلك من الجفاء وسوء الأدب معه عليه الصلاة والسلام، ويصلى عليه كذلك عند تبليغ العلم للناس وتذكيرهم ووعظهم وإلقاء الدروس والمحاضرات وما في معناها^(٣).

وللصلاة على النبي ﷺ ثمرات وفوائد كثيرة، منها:

امتنال أمر الله تعالى وموافقته في الصلاة على نبيه، وموافقة ملائكته فيها، وحصول عشر صلوات من الله، ورفع عشر درجات، وكتب عشر حسنات، ومحو عشر سيئات، ورجاء إجابة الدعاء، وسبب لشفاعته النبي ﷺ، وسبب لغفران الذنوب، ولكفاية الله العبد ما أهمله، وللقرب من النبي ﷺ يوم القيامة، وسبب

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة باب (٢٣) (٦٣٦/٤)، رقم (٢٤٥٧)، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: الترغيب والترهيب للمنزدي (٢/٥٠١)، ضبط مصطفى محمد عماره - دار إحياء التراث الإسلامي - قطر، وتحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي للمباركفوري ١٥٣/٧ - مؤسسة قرطبة.

(٣) ذكر هذه المواطن ابن القيم وزاد عليها فأوصلها إلى واحد وأربعين موطناً منها الصحيح والحسن ومنها الضعيف والباطل. انظر: كتابه الحافل جلاء الأفهام من ص (٣٨٠-٥١٩).

للنجاة من رغم الأنف، وللبركة في ذات المصلي وعمله وعمره ومصالحه، وسبب لرحمة الله، وسبب لدوام محبته للرسول ﷺ وزيادتها وتضاعفها، وسبب لمحبة النبي ﷺ للعبد، وسبب لهداية العبد، وحياة قلبه، وتثبيت قدمه على الصراط، وغير ذلك^(١).

وأما أنه سبحانه لم يناد نبيه ﷺ في القرآن قط باسمه وإنما ناداه بوصف النبوة والرسالة أو المدثر أو المزل، ففي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجُكُمْ إِن كُنْتُمْ تَرْضَوْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرَحَنَّ سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥، ٢٨، ١)، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ (المائدة: ٤١، ٦٧) ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١) ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ (المدثر: ١) في آيات أخرى تدل كلها على عظم قدر النبي ﷺ عند ربه وإجلال الله تعالى له، وفي ذلك دلالات واضحة وتوجيهات جليلة للأمة في كيفية التعامل مع النبي ﷺ عند مخاطبته وتوقيره حق التوقير، فإنه إذا كان الله تعالى وهو ربه وخالقه وإلهه ومالكة ورازقه يخاطبه بذلك الخطاب الدال على عظيم منزلته عنده وجلالة قدره لديه، فمن باب أولى غيره من الخلق أن يتأدبوا معه غاية الأدب ويقدروه حق قدره على أن لا يرفع فوق منزلة النبوة ولا تنزع منه صفة البشرية، وبهذا ﷺ وجه أمته فقال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله"^(٢).

(١) انظر هذه الفوائد وغيرها في جلاء الأفهام لابن القيم ص (٥٢١).

(٢) رواه البخاري في الأنبياء باب قول الله (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت) ٦/٤٧٨؛ رقم ٣٤٤٥، والدارمي في الرقاق باب قول النبي ﷺ: لا تطروني ٢/٢٢٨؛ رقم ٢٧٨٧ تحقيق عبد الله هاشم يماني - حديث أكاديمي ١٩٨٤م، والطبائسي رقم ٢٤، دائرة المعارف النظامية القائمة - الهند - ط الأولى ١٣٢١هـ.

وإطراء النصارى لعيسى ابن مريم كما سجله القرآن عنهم أنهم قالوا عنه أنه ابن الله والرب وثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، فهى النبي ﷺ في هذا الحديث أن يرفع فوق درجة العبودية لله، وأن يعتقد فيه ما اعتقد في عيسى ابن مريم من الألوهية والبنوة لله؛ لأنه عبد وبشر كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ (الكهف: ١١٠)، وقال أيضاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (الفرقان: ١).

ونجد تأكيداً لهذا المعنى في الإجلال وهو عدم مناداة الشخص باسمه أنه يحرم على الابن أن ينادي أبويه باسميهما إجلالاً وتوقيراً لهما؛ لأن ذلك يخالف الأمر بالبر بهما والإحسان إليهما وخفض الجناح لهما وعدم أذيتهما، فإذا ناداهما الابن باسمهما فقد آذاهما وتكبر عليهما وعقهما، وهو ما نأى الأنبياء بأنفسهم عنه، قال تعالى عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِلْأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (مريم: ٤١-٤٢) وكما قال عن يوسف عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِلْأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (يوسف: ٤)، وقال عن إسماعيل عليه السلام: ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنِ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢)، وقال عن إخوة يوسف عليه السلام: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ (يوسف: ١١).

ومن إجلال الله تعالى لنبيه ﷺ أنه قدمه في الذكر على أولي العزم من الرسل وهم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، عليهم الصلاة والسلام مع تقدم زمانهم وتأخر زمانه عنهم، ومع عظم مكانتهم عند ربهم وتفضيلهم على سائر الأنبياء سواه، فنوح عليه السلام: هو أول الرسل إلى أهل الأرض، وسماه الله تعالى عبداً

شكوراً، وإبراهيم عليه السلام: هو خليل الله تعالى، وأبو الأنبياء، وجعله الله تعالى إماماً للناس، وأمر باتباع ملته الخنيفية، وموسى عليه السلام كلیم الله تعالى اصطفاه الله تعالى على الناس برسالاته وبكلامه، وكتب له التوراة بيده، وهو أكثر الأنبياء تابعاً بعد نبينا ﷺ، وعيسى عليه السلام: هو روح الله تعالى، وكلمته ألقاها إلى مريم عليها السلام، وكلم الناس في المهد.

ومع هذا كله إلا أن الله تعالى قدم ذكره عليهم فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ (الأحزاب: ٧)، وقال: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ (النساء: ١٦٣).

ومن إجلال الله تعالى له: تحريم أزواجه أمهات المؤمنين على الرجال من بعده ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُزْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٣) والمراد بذلك أزواجه اللاتي دخل بهن وتوفي عنهن، وهن إحدى عشرة امرأة اثنتان منهن توفيتا في حياته ومات عن تسع منهن بلا خلاف، وهؤلاء الزوجات المباركات قد عظم الله تعالى شأنهن توقيراً لنبيه وإجلالاً له وبياناً لعظم حرمة فبين سبحانه أنهن أمهات المؤمنين وأنهن لسن كغيرهن من النساء، وفرض عليهن الحجاب، وحرم التزوج بهن من بعده ﷺ كما تقدم، وعظم قذفهن فقال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ (الأحزاب: ٦)، وقال: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (الأحزاب: ٣٢)، وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب: ٥٣)، وقال: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا

وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿ (النور: ١٥) أي قذف عائشة أم المؤمنين بالفاحشة، ولذلك أجمع العلماء على أن قذفها بالزنا بعد نزول براءتها في القرآن كفر؛ لأن فيه تكذيباً صريحاً لله تعالى ولنبيه ﷺ وتدنيساً لعرضه الطاهر الشريف، وكذلك الحكم على الراجح في بقية أزواجه.

قال ابن كثير رحمه الله: (أجمع العلماء قاطبة على أن من توفي عنها رسول الله ﷺ من أزواجه أنه يحرم على غيره تزوجها من بعده؛ لأنهن أزواجه في الدنيا والآخرة، وأمهات المؤمنين)^(١).

ومن إجلاله تعالى لنبيه ﷺ أنه جعل أذيته والسخرية منه كفراً مخرجاً من الإسلام تستوجب عذاب الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ﴾ (التوبة: ٦٥-٦٦)، وقال: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (الأحزاب: ٥٧)، وقال: ﴿ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (التوبة: ٦١)، وقال: ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴾ (التوبة: ٦٣)، وقال: ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الحجر: ٩٥-٩٦)، وقد كفى الله تعالى نبيه هؤلاء المستهزئين في كل زمان ومكان.

روى البخاري عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يصلي عند البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: "أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٥١٣).

فيضعه على ظهر محمد إذا سجد فانبعث أشقى القوم فجاء به فنظر حتى سجد النبي ﷺ فوضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظر لا أغير شيئاً لو كان لي منعة، فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه حتى جاءته فاطمة فطرحته عن ظهره، فرفع رأسه ثم قال: اللهم عليك بقريش ثلاث مرات، فشق عليهم إذ دعا عليهم قال: وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة ثم سمى: اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعد السابع فلم يحفظه الراوي - وفي رواية أنه عمارة بن الوليد - قال: فوالذي نفسي بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعى في القليب قليب بدر^(١).

وقيل إن المستهزئين كانوا غير هؤلاء، وهم خمسة نفر من كبار كفار قریش دعا عليهم النبي ﷺ في يوم فأصيبوا وماتوا جميعاً^(٢).

وعقوبة من يستهزئ به عليه الصلاة والسلام أو يسبه أو ينتقصه في الدنيا هي القتل بلا خلاف بين العلماء.

قال أبو بكر ابن المنذر: أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي ﷺ يقتل.

ومن قال ذلك: مالك بن أنس، والليث، وأحمد، وإسحاق، وهو مذهب الشافعي، وبمثله قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري وأهل الكوفة والأوزاعي في المسلمين وقالوا هي ردة^(٣).

(١) رواه البخاري في الوضوء باب إذا ألقى على ظهر المصلي قدر أو جيفة لم تفسد صلاته ٤١٦/١ رقم ٢٤٠، وفي الصلاة باب المرأة تطرح عن المصلي شيئاً من الأذى ٧٠٧/١ رقم ٥٢٠، ومسلم في الجهاد باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣٦٢/١٢ رقم ٤٦٢٥.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير (٢/٨٦-٨٧)، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) الشفا للقاضي عياض (٢/٢١٥).

وقال القاضي عياض: من سب النبي ﷺ أو عابه أو ألحق به نقصاً في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له، أو الإضرار عليه، أو التصغير لشأنه، أو الغض منه والعيب له، فهو ساب له، والحكم فيه حكم الساب يقتل، وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا^(١).

وقد استند العلماء في إجماعهم على حكم القرآن في المستهزئ بالكفر والردة، وحكم المرتد إذا لم يتب فإنه يقتل بلا خلاف.

وكذلك استندوا على فعل النبي ﷺ بقتله نفرًا ممن كان يستهزئ به أو يسبه، ومن أولئك كعب بن الأشرف اليهودي بعث إليه محمد بن مسلمة فقتله غيلة، وبين ﷺ سبب قتله فقال: (فإنه قد آذى الله ورسوله)^(٢).

وتمثلت هذه الأذية في نقضه للعهد وإعانتة على حرب النبي ﷺ وهجائه له وتشبيهه بنساء الصحابة، ومدحه للمشركين وتحريضه لهم على المسلمين^(٣).

وأبو رافع سلام بن أبي الحقيق اليهودي بعث إليه رهطاً من الأنصار على رأسهم عبد الله بن عتيك فدخل عليه بيته ليلاً فقتله وهو نائم^(٤).

وكان أبو رافع هذا يعادي رسول الله ﷺ، ويؤلب عليه الناس، وأعان المشركين يوم الأحزاب بالمؤن والأموال الكثيرة^(٥).

وعبد الله بن خطل وجاريتان له كانتا تغنيان بسبه ﷺ.

روى البخاري عن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر

(١) المصدر السابق (٢/٢١٤).

(٢) رواه البخاري في الجهاد والسير باب الكذب في الحرب (٦/١٨٤)، رقم (٣٠٣١).

(٣) فتح الباري لابن حجر (٦/١٨٥)، والرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ص (٣٢٢-٣٢٣) دار الكتب الثقافية - ط الأولى ٢٠٠٤ م.

(٤) رواه البخاري في الجهاد والسير باب قتل النائم المشرك (٦/١٨٠)، رقم (٣٠٢٢، ٣٠٢٣).

(٥) فتح الباري لابن حجر (٦/١٨٠)، والرحيق المختوم ص (٤١٩).

فلما نزع جاء رجل فقال: ابن خطل متعلق بأستار الكعبة، فقال: اقتله^(١).
وكان ابن خطل هذا قد أسلم ثم قتل رجلاً مسلماً وارتد، وكان يأمر جاريته بهجاء النبي ﷺ فأمر النبي ﷺ بقتلهما معه^(٢).

والنضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط، وقد قتلها النبي ﷺ ببدر صبراً لشدة أذيتهما وافترائهما عليه^(٣).

وامرأة الأعمى رجل من الصحابة كانت له أم ولد تسب النبي ﷺ فيزجرها فلا تنزجر، فلما كان ذات ليلة جعلت تقع في النبي ﷺ وتشتمه فقتلها وأعلم النبي ﷺ بذلك فأهدر دمها^(٤).

ومن إجلال الله تعالى لنبيه ﷺ أنه قرن اسمه باسمه، وطاعته بطاعته، ومعصيته بمعصيته، قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ * الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشرح: ١-٤) أي أنه سبحانه لا يذكر إلا ويذكر معه نبيه ﷺ، ولا يقبل إيمان أحد ولا محبته ولا طاعته إلا بالإيمان به ﷺ ومحبته وطاعته، ولا تصح صلاة إلا بذكره والصلاة عليه. قال قتادة: رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله^(٥).

وقال مجاهد: لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله^(٦).

(١) رواه البخاري في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح (٦٠٩/٧)، رقم (٤٢٨٦)، والشفاء (٢٢١/٢)، والرحيق المختوم للمباركفوري ص (٥٢٦).

(٢) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٢٩/٤ تعليق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٢٢١/٢.

(٤) رواه أبو داود في الحدود باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (١٢٩/٤) رقم (٤٣٦١) وإسناده صحيح، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر.

(٥) جامع البيان للطبري ٢٣٥/٣٠.

(٦) المصدر السابق ٢٣٥/٣٠.

وقال بعض العلماء: المعنى ذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك^(١).

وقال آخرون: رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الأرض^(٢).

قال الشوكاني: والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور، فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر، وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه، وإخباره ﷺ عن الله عز وجل أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا، وأمر الله بطاعته كقوله: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (النور: ٥٤)، وقوله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (الحشر: ٧)، وقوله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٣١)، وغير ذلك، وبالجمله فقد ملأ ذكره الجليل السموات والأرضين، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١).

وما أحسن قول حسان بن ثابت فيه:

أغر عليه للنبوّة خاتم	من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم إليه اسم النبي إلى اسمه	إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليجله	فدو العرش محمود وهذا محمد ^(٣)

وقال آخر:

ألم تر أنا لا يصح أذاننا
ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما^(٤)

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/٥٧٠).

(٢) المصدر السابق ٥/٥٧٠.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/٥٧١).

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤/٥٦١).

ومما يدل على قرن طاعته سبحانه بطاعته ومعصيته بمعصيته قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٠)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب: ٣٦)، وقوله: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ (الجن: ٢٣).

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله) (١).

وعنه أيضاً عن النبي ﷺ قال: (كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى). قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى (٢).

ومن إجلاله تعالى لنبيه ﷺ أنه لطفه في الخطاب وقدم العفو عنه قبل عتابه فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ﴾ (التوبة: ٤٣) ومعناه: عافاك الله يا سليم القلب لم أذنت لهم؟

قال بعض العارفين: ولو بدأ النبي ﷺ بقوله: لم أذنت لهم لخيف عليه أن ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام، لكن الله تعالى برحمته أخبره بالعفو حتى سكن قلبه، ثم قال له: لم أذنت لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب، وفي هذا من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب، ومن إكرامه إياه وبره به ما ينقطع دون معرفة غايته نياط القلب، ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٤) حيث بدأ بثباته وسلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف أن يركن إليه، ففي أثناء عتبه

(١) رواه البخاري في الأحكام باب قول الله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) ١١٩/١٣ رقم ٧١٣٧، ومسلم في الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية ٤٢٧/١٢ رقم ٤٧٢٦.

(٢) رواه البخاري في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ١٣/٢٦٣ رقم ٧٢٨٠.

براءته، وفي طي تخويله تأمينه وكرامته^(١).

ومن إجلال الله تعالى لنبيه ﷺ أنه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عرج به إلى السموات العلى حتى بلغ سدرة المنتهى، ثم عرج به حتى ظهر لمستوى سمع فيه صريف الأقلام^(٢)، وهو ما لم يبلغه أحد من الأنبياء قبله، ثم لم يزل يراجع ربه في فرض الصلوات حتى بلغت خمساً، وفي هذا كله دلالة على عظم قدره ﷺ عند ربه وإجلال الله تعالى له وعلو مرتبته وظهور فضله على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء: ١).

وفي حديث الإسراء قال: (فأوحى الله إلي ما أوحى ففرض علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي، قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال يا محمد إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة وهي خمسون لا يبدل القول لدي قال: فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله ﷺ: قد رجعت إلى ربي حتى استحيت منه)^(٣).

المطلب الثاني: خصائصه ﷺ التي اختصه الله بها :

من إجلال الله تعالى لنبيه ﷺ تفضيله له على سائر الخلق وإعطاؤه خصائص لم

(١) انظر: الشفا للقاظمي عياض بتصريف (١/٢٨-٣٠).

(٢) رواه البخاري في الصلاة باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء ١/٥٤٧ رقم ٣٤٩، ومسلم في الإيمان

باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات ١/٣٩٠ رقم ٤١٣.

(٣) رواه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات (١/٣٨٤) رقم (٤٠٩).

يعطهن أحداً من الأنبياء قبله، وهذا من الله تعالى غاية الإنعام والإفضال والإكرام والإجلال على عبده وحببيه وخليله وصفيه محمد ﷺ، فمن ذلك أنه أرسله إلى الخلق كافة إنسهم وجنهم، عربهم وعجمهم، أبيضهم وأسودهم، وكان من قبله من الأنبياء إنما يرسل إلى قومه خاصة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ (الأعراف: ١٥٨)، وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ومنها: أن الله تعالى جعل له الأرض مسجداً وطهوراً فأبما رجل من أمته أدركته الصلاة صلى حيث كان إلا ما استثناه الشرع من ذلك كالصلاة في المقابر ومواضع النجاسات والمجزرة وأعطان الإبل، وإذا لم يجد المسلم الماء أو عجز عن استعماله تيمم صعيداً طيباً، قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ (النساء: ٤٣)، وكان من قبله من الأنبياء إنما يصلون في كنائسهم ولا يصلي أحد منهم حتى يبلغ محرابه^(١).

ومنها: إحلال المغنم له، وهي التي يغنمها من الكفار في قتاله معهم، ولم تحل لأحد من الأنبياء قبله، بل كانت علامة قبولها من الله أن تنزل نار من السماء تأكلها فإذا لم تأكلها فهو دلالة على وجود مانع فيها من ذنب ونحوه.

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: (غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولما بين، ولا آخر قد بنى بنياناً ولما يرفع سقفها، ولا آخر قد اشترى غنماً أو خلفات وهو منتظر ولادها. قال: فغزا فأدنى للقربة حين صلاة العصر أو قريباً من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علي شيئاً فحبست عليه حتى فتح الله عليه. قال: فجمعوا

(١) رواه أحمد ٢٢٢/٢، والبخاري (كشف الأستار عن زوائد البزار للهيتمي ٣/١٤٦-١٤٧ رقم ٢٤٤١، تحقيق جيب الرحمن الأعظمي - مؤسسة الرسالة ط الأولى - ١٩٨٤ م، وهو حديث حسن .

ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبى أن تطعمه، فقال: فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال: فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته، قال: فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة، فقال: فيكم الغلول أنتم غللتهم، قال: فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب، قال: فوضعوه في المال وهو بالصعيد، فأقبلت النار فأكلته فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا، ذلك بأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطبيها لنا^(١).

ومنها: أن الله تعالى نصره على عدوه بالرعب مسيرة شهر أي أنه سبحانه يقذف الخوف في قلوب أعدائه منه ﷺ إذا سمعوا بمسيره قبل أن يصل إليهم بشهر ولم يوجد لغيره من الأنبياء النصر بالرعب لا في هذه المدة ولا في أكثر منها ولا فيما هو دونها.

وهذه الخصوصية حاصلة له على الإطلاق حتى ولو كان وحده بغير عسكر، وهل هي حاصلة لأئمة من بعده فيه احتمال كما يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله^(٢).

لكنني أرى خلاف هذا الاحتمال، وهو أن هذا النصر بالرعب غير حاصل لأئمة من بعده ﷺ، ويدل على ذلك نصوص السنة والشواهد التاريخية الماضية والواقع المعاصر.

فنصوص السنة دلت على أن الأمة ستتم بمرحلة ضعف ووهن يؤدي بها إلى تكالب الأمم عليها، وهذا يدل على انتفاء الرعب منهم، فعن ثوبان قال رسول الله ﷺ: (يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل:

(١) رواه البخاري في فرض الخمس باب قول النبي ﷺ أحلت لكم الغنائم ٢٥٤/٦ رقم (٣١٢٤)، ومسلم

في الجهاد باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة (٢٧٨/١٢) رقم (٤٥٣٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٥٢١/١) والحديث رواه البخاري في التيمم باب (١) ٥١٩/١ رقم ٣٣٥،

ومسلم في المساجد باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٦/٥ رقم ١١٦٣.

ومن قلة نحن يومئذ قال: بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن، فقال قائل يا رسول الله وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت (١).

وفي هذا السياق كذلك حديث عبد الله بن مسعود عند مسلم عن النبي ﷺ قال: (عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام - يعني الروم - وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة) (٢).

وحديث ذي مخمر سمعت النبي ﷺ يقول: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم فتنصرون وتغنمون وتسلمون ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلؤل فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول غلب الصليب فيغضب رجل من المسلمين فيدقه فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة فيأتونكم في ثمانين غاية مع كل غاية عشرة آلاف، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة) (٣).

فدلت هذه الأحاديث على أن أعداء الإسلام من الكفار على اختلاف طوائفهم لم يعودوا يرهبون من المسلمين ولا يحسبون لهم أي حساب.

وشواهد التاريخ تشهد بذلك، فقد اجتاحت بلاد المسلمين طائفتان كافرتان قتلتا مئات الألوف منهم ودمرتا بلدانهم، واستولت عليها، وأهلكت الزروع والثمار والمواشي، وانتهكت الأعراض وسبت الذرية والنساء ودنست المقدسات وعاثت في الأرض فساداً بما لا يعرف قبله ولا بعده مثله.

(١) رواه أبو داود في الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام (١١١/٤)، رقم (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٧٨/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٦/٣٦٤ رقم ٨٠٣٥ المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٩٨٢ م.

(٢) رواه مسلم في الفن باب إقبال الروم في كثرة القتل عند خروج الدجال (٢٣٢/١٨) رقم (٧٢١٠).

(٣) رواه أبو داود في الملاحم باب ما يذكر من ملاحم الروم (١٠٩/٤) رقم (٤٢٩٢)، وأحمد (٩١/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٢٠٣/٣)، رقم (٣٦٠٦).

هاتان الطائفتان: أولاهما طائفة التتار التي اجتاحت عاصمة الخلافة العباسية بغداد سنة ٦٥٦ هـ وقتلت الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين ببغداد وبعض أولاده، وقتلت معهم أكابر الدولة من الوزراء والعلماء والأمراء والوجهاء، وأعملت السيف في المسلمين فقتلت ما يقرب من مليوني مسلم من الرجال والنساء والأطفال حتى جرت دماؤهم كالأنهار في الأزقة^(١).

والطائفة الثانية الفرنجة أي الصليبيون وقد قادوا ثلاث حملات كبار للاستيلاء على بيت المقدس، وقد كان عدد أفراد الحملة الأولى أكثر من مليون، والمقاتلون فيها ما يقرب من ثلاثمائة ألف مقاتل وقد زحفوا نحو الشام فدخلوا مدينة أنطاكية في عام ٤٩١ هـ وقتلوا من أهلها أكثر من عشرة آلاف ومثلوا بالقتلى وارتكبوا أبشع الجرائم، ثم اتجهوا نحو بيت المقدس ودخلوها عام ٤٩٢ هـ وقتلوا من أهلها في يوم واحد أكثر من سبعين ألفاً، وبقيت القدس تحت سيطرتهم حتى حررها السلطان البطل الناصر صلاح الدين الأيوبي منهم في عام ٥٨٣ هـ^(٢) ولو كان هؤلاء يرهبون من المسلمين لما حصل منهم كل هذا، والواقع المعاصر خير دليل على هذا.

ومن خصائص النبي ﷺ على الأنبياء أن الله تعالى أعطاه الشفاعة الكبرى التي يتخلى عنها الأنبياء جميعاً من لدن آدم إلى عيسى ابن مريم عليهم الصلاة والسلام وكل واحد يحيل إلى الآخر ويقول لست لها حتى يحيل عيسى إلى نبينا ﷺ فيقول أنا لها فينطلق حتى يأتي تحت العرش فيقع ساجداً لربه ويفتح الله عليه ويلهمه من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبله ثم يقول له يا

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣/٢١٤-٢١٥) تحقيق د/ أحمد أبو ملحمة وآخرين - دار الكتب

العلمية - بيروت - ط الأولى ١٩٨٥ م

(٢) انظر: التاريخ الإسلامي (٦/٢٥٥، ٢٣٢) لمحمود شاكر ٦/٢٥٥، ٣٣٢ - المكتب الإسلامي - ط

الثانية ١٩٨٥ م

محمد ارفع رأسك، وسل تعطه، اشفع تشفع^(١). فيشفع في أهل الموقف أن يقضي الله بينهم^(٢) وهذا هو المقام المحمود الذي يغبطه عليه أهل الأرض والسما قال تعالى ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً﴾ (الاسراء: من الآية ٧٩).

ومن خصائصه: أنه جعلت صفوف أمته في الصلاة كصفوف الملائكة عند ربها^(٣) وأعطى خواتم سورة البقرة وهي قوله تعالى ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: الآيتان ٢٨٥، ٢٨٦) من كنز تحت العرش^(٤)، وأعطى جوامع الكلم^(٥) وهي: الألفاظ اليسيرة التي تشتمل على المعاني الكثيرة والمقصود به عند العلماء القرآن الكريم، وكذلك كلامه هو عليه الصلاة والسلام فإنه كان يتكلم بالجوامع من الكلام الذي تقل ألفاظه وتكثر معانيه^(٦).

ومن خصائصه: أنه ختم به النبيون فلا نبي بعده^(٧) قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: من الآية ٤٠)، وكل من ادعاها بعده فهو كاذب كافر بالإجماع^(٨) يستتاب من قبل الحاكم المسلم فإن تاب وإلا قتلته.

ومن خصائصه: أنه أوتي مفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يديه^(٩) وهذا

(١) رواه البخاري في التوحيد باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم ٤٨١/١٣ رقم ٧٥١٠، ومسلم في الإيمان باب حديث الشفاعة ٥٧/٣ رقم ٤٧٨ و٤٧٩.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي ٣٧١/١٠) وقال رواه الطبراني في الأوسط عن مطالب بن شعيب عن عبد الله بن صالح وكلاهما قد وثق على ضعف فيه، وبقيته رجاله رجال الصحيح، دار الكتاب العربي - بيروت - ط الثالثة ١٩٨٢ م.

(٣) رواه مسلم في الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٧/٥ رقم ١١٦٥.

(٤) رواه مسلم في الإيمان باب في ذكر سدره المنتهى ٥/٣-٦ رقم ٤٣٠ وأحمد ٥/١٥١.

(٥) رواه مسلم في الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٨/٥ رقم ١١٦٧.

(٦) شرح صحيح مسلم للنووي ٨/٥ تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة - ١٩٩٦ م.

(٧) رواه مسلم في الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٨/٥ رقم ١١٦٧.

(٨) الشفا للقاضي عياض ٢/٢٨٥.

(٩) رواه مسلم في الصلاة باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ٨/٥ رقم ١١٦٨.

من أعلام نبوته ﷺ فإنه أخبر بفتح البلاد والأمصا على المسلمين واستخراج كنوزها ووقع كما أخبر فقد فتحت الشام واليمن ومصر وإفريقية وبلاد كسرى وقيصر، وغيرها واستخرج المسلمون كنوز هذه البلدان وانتفعوا بها، قال الإمام البغوي رحمه الله: في معنى قوله ﷺ: (أتيت مفاتيح خزائن الأرض) يحتمل أن يكون هذا إشارة إلى ما فتح لأمته وجنوده من الخزائن كخزائن كسرى وقيصر، ويحتمل أن يكون المراد منه معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة والفلز أي ستفتح البلدان التي فيها هذه المعادن والخزائن فتكون لأمته.

قال أبو هريرة: ذهب رسول الله ﷺ وأنتم تنتثلونها أي تستخرجونها^(١).

ومن خصائصه: أنه سمي أحمد ولم يسم أحد قبله بهذا الاسم^(٢) قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ (الصف: من الآية ٦) وأخبر به ﷺ في جملة أسمائه المباركة حيث قال: إن لي أسماء: أنا أحمد وأنا محمد وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي أي أنه يحشر أول الناس - وأنا العاقب، قال: قلت للزهري ما العاقب: (قال الذي ليس بعده نبي)^(٣).

ومن خصائصه: أنه جعلت أمته خير الأمم^(٤) قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (آل عمران: من الآية ١١٠)، وقد استحقوا هذه الخيرية بسبب إيمانهم بالله تعالى ورسوله ﷺ وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإتباعهم للحق ولكونهم خير

(١) شرح السنة للبغوي ١٣/١٩٩ تحقيق شعيب الأرنؤوط - المكتب الإسلامي - ط الأولى - ١٩٧١ م.

(٢) رواه أحمد ١/١٥٨ وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير ١/٣٠٢ رقم ١٠٥١ - المكتب الإسلامي - ط الثالثة ١٩٧٩ م.

(٣) رواه البخاري في التفسير تفسير سورة الصف باب يأتي من بعدي اسمه أحمد ٨/٥٠٩ رقم ٤٨٩٦، ومسلم في الفضائل باب في أسمائه ﷺ ١٥/١٠٤ رقم ٦٠٥٨.

(٤) رواه أحمد ١/١٥٨ عن علي رضي الله عنه وسنده ضعيف.

الأمم على الإطلاق فقد اختصهم الله تعالى بخصائص لم يعطها لغيرهم من الأمم منها الشهادة على الأمم السابقة بالحق والوسطية في المنهج^(١) قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (البقرة: من الآية ١٤٣) ومنها أنهم أول الأمم حساباً^(٢) وعبوراً على الصراط^(٣) ودخولاً للجنة^(٤).

وأكثر أهل الجنة فقد صح عن النبي ﷺ أنهم ثلثا أهل الجنة والثلث الباقي من سواهم من الأمم^(٥).

ومنها: أنهم يأتون يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء وهي سيما ليست لغيرهم^(٦).

ومنها: أنهم أكثر الأمم إتباعاً وتصدقاً لنبیهم ﷺ^(٧).

ومنها: أنه يدخل منهم الجنة سبعون ألفاً بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفاً متماسكون بأيديهم لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم^(٨).

(١) رواه ابن ماجه في الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٢/٢ رقم ٤٢٨٤ ، تعليق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر ، وأحمد ٥٨/٣ عن أبي سعيد الخدري ، وسنده صحيح .

(٢) رواه ابن ماجه في الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٤/٢ رقم ٤٢٩٠ ، وأحمد ٢٨٢/١ عن ابن عباس وسنده صحيح .

(٣) رواه البخاري في التوحيد باب قول الله تعالى (وجوه يومئذ ناظرة) ١٣/٤٣٠ رقم ٧٤٣٧ ، ومسلم في الإيمان باب معرفة طريق الرؤية ٣/٢١ رقم ٤٥٠ عن أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم في الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة ٥/٣٨٢ رقم ١٩٧٧ عن أبي هريرة .

(٥) رواه ابن ماجه في الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ١٤٣٤/٢ رقم ٤٢٨٩ ، وأحمد ٣٤٧/٥ عن بريدة - حديث صحيح .

(٦) رواه البخاري في الوضوء باب فضل الوضوء ١/٢٨٣ رقم ١٣٦ ، ومسلم في الطهارة باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء ٣/١٢٨-١٢٩ رقم ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ من حديث أبي هريرة .

(٧) رواه مسلم في الإيمان باب في قول النبي ﷺ : أنا أول الناس يشفع في الجنة ٣/٦٧ رقم ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ من حديث أنس بن مالك .

(٨) رواه البخاري في الرقاق باب صفة الجنة والنار ١١/٤٢٤ رقم ٦٥٥٤ ، ومسلم في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ٣/٨٧ رقم ٥٢٥ من حديث سهل بن سعد بغير زيادة (مع كل ألف سبعون ألفاً) وهذه الزيادة رواها الترمذي في صفة القيامة باب (١٢) ٤/٦٢٦ رقم ٢٤٣٧ ، وابن ماجه في الزهد باب صفة أمة محمد ﷺ ٢/١٤٣٣ رقم ٤٢٨٦ عن أبي أمامة الباهلي وقال الترمذي : حديث غريب .

ومحصلة هذا العدد هو ٩٠٠.٠٠٠ ر ٤ أربعة مليون إنسان وتسعمائة ألف جعلنا الله منهم .

ومنها الإسناد أي حدثنا فلان عن فلان، عن النبي ﷺ، قال ابن حزم رحمه الله: (نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خص الله به المسلمين دون سائر الملل) (١) وقال أبو علي الجياني: (خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد والأنساب والإعراب) (٢) وقال محمد بن المظفر: (إن الله أكرم هذه الأمة وشرفها وفضلها بالإسناد، وليس لأحد من الأمم كلها قديمهم وحديثهم إسناد، وإنما هي صحف بأيديهم) (٣).

ومن خصائصه ﷺ أن الله تعالى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر (٤) قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (الفتح: ١، ٢) ومعنى الآية: ليغفر لك ما تقدم من ذنبك أي: قبل الرسالة وما تأخر أي بعدها وذلك بعصمتك منها، وقيل: إنه مغفور لك غير مؤاخذ بذنب لو وقع منك، ولو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه لك وقيل هو تنزيه له من الذنوب (٥).

ومن خصائصه أن الله تعالى أعطاه الكوثر (٦) وهو نهر في الجنة أشد بياضاً من

(١) ونقله عنه القاسمي في قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث ص ٢٠١ - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٩ م.

(٢) انظر: قواعد التحديث للقاسمي ص ٢٠١.

(٣) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٦٥ رقم ٧٢ - عناية أشرف خلف - دار البصرة - الإسكندرية - ٢٠٠٤ م.

(٤) رواه البزار، (كشف الاستار ٣/ ١٤٧ رقم ٢٤٤٢ من حديث أبي هريرة وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/ ٨ اسناده جيد، وهو مذكور في حديث الشفاعة المتفق عليه وتقدم تخريجه برقم (٥٤)).

(٥) انظر شرح مسلم للنووي ٣/ ٥٤ وفتح القدير للشوكاني ٥/ ٥٥.

(٦) رواه البزار (كشف الاستار ٣/ ١٤٧) رقم ٢٤٤٢ من حديث أبي هريرة واسناده جيد كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/ ٨.

اللبن وأحلى من العسل، وطينته من المسك الأذفر، وحسبائه اللؤلؤ، وحافته من قباب اللؤلؤ المحوف والزبرجد، وآتيته كعدد نجوم السماء^(١) قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ (٣) ﴿ (الكوثر: ١، ٣): أي أن مبعضك هو الأذل المنقطع.

ومن خصائصه ﷺ: أنه صاحب لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه....^(٢) ومنها أن شيطانه كان كافراً فأعانه الله عليه فأسلم^(٣) ومعنى فأسلم: أي دخل في دين الإسلام، وقيل إنه يسلم من شره وفتنته فلا يأمره إلا بكل خير^(٤) ومنها: أنه أكثر الأنبياء تبعاً: أي أن من آمن به الناس أكثر ممن آمن بغيره فعن أنس رضي الله عنه قال قال: رسول الله ﷺ أنا أول شفيع في الجنة لم يصدق نبي من الأنبياء ما صدقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد^(٥) وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: عرضت عليّ الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقليل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم، فقليل لي: انظر إلى الأفق الآخر فنظرت فإذا سواد عظيم، فقليل لي: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة

(١) رواه البخاري في الرقاق باب في الحوض لقول الله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) ٤٧٢/١١ رقم ٦٥٧٨ عن ابن عباس رقم ٦٥٨١ وعن أنس ورواه أحمد ١٠٢/٣، ١٠٣ عن أنس، ورواه مسلم في الفضائل باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته ٥٣/١٥ رقم ٥٩٢٤-٥٩٥٨ عن عدة من الصحابة ولكن في صفة الحوض .

(٢) رواه البزار (كشف الأستار ١٤٧/٣) رقم ٢٤٤٢ من حديث أبي هريرة وإسناده جيد كما تقدم نقله عن الهيثمي .

(٣) رواه البزار (كشف الأستار ١٤٦/٣) رقم ٢٤٨٣ عن أبي هريرة وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٩/٨ فيه إبراهيم ابن صرمة وهو ضعيف .

(٤) انظر : شرح مسلم للنووي ١٥٥/١٧ عند شرح الحديث ٧٠٣٩ .

(٥) رواه مسلم في الإيمان باب في قول النبي ﷺ أنا أول الناس يشفع في الجنة ٦٧/٣ رقم ٤٨٤ .

بغير حساب ولا عذاب^(١).

ومن خصائصه ﷺ: أن الله تعالى أعطاه المعجزة الخالدة القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد والذي لا يتطرق إليه التبديل ولا التحريف ولا التغيير ولا الزيادة ولا النقصان قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩). المعجز في نظمه ولفظه وحروفه وكلماته وتركيباته المتحدى أن يؤتى بمثله أو بأقصر سورة منه قال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣) المشتمل على الجدة الدائمة التي لا تفتقر منها الألسنة ولا يمجها السمع، وعلى حياة الأرواح والقلوب، وعلى خلوه من التناقض، والاضطراب، وعلى علومه الواسعة التي بلغت الغاية في الدقة، وصحة الأخبار، ووضوح الحجة، وعموم النصح، وعلى إخباره بالغيب في الماضي والحاضر والمستقبل قال تعالى عن القرآن: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ (الزمر: من الآية ٢٣)

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ (٤١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴿فصلت: ٤٢، ٤١﴾ وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ (الإسراء: ٨٨) وفي الحديث (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة)^(٢).

(١) رواه البخاري في الرقاق باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ٤١٣/١١ رقم ٦٥٤١ ومسلم في الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب ٨٨/٣ رقم ٥٢٦.

(٢) رواه البخاري في فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل ٦١٩/٨ رقم ٤٩٨١ ومسلم في الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ٣٦٣/٢ رقم ٣٨٣ عن أبي هريرة .

ومما يدل على كون القرآن معجزة خالدة إلى يوم القيامة أمور كثيرة منها:
أولاً: بقاءه من التغيير والتبديل منذ أن أنزل على النبي ﷺ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام إلى اليوم لم يستطع أي أحد ولا أي هيئة ولا أي دولة من ملل الكفر جميعاً على مر التاريخ وتعاقب الأزمان أن يصلوا إليه بتبديل، أو حذف، أو تغيير، أو تحريف، مع وجوده بين أيديهم وتمكنهم منه، وكل المحاولات التي قاموا بها في ذلك قد باءت بالفشل، وسيستمر محفوظاً بحفظ الله تعالى له، إلى أن يرفعه الله إليه قبل قيام الساعة حيث يندرس الإسلام، وتذهب معالمه ويظهر الجهل والكفر، فلا يبقى في الأرض من يقول لا إله إلا الله^(١).

ثانياً: عجز البشرية جميعاً من الصدر الأول إلى اليوم عربهم وعجمهم، وبلغائهم وشعرائهم وأدبائهم، حكمائهم وفلاسفتهم عن مضاهاة هذا القرآن كله أو بعضه، ولا يزال التحدي قائماً إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور: ٣٤) أو ببعضه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣) أو بثلاث آيات منه وهي أقل عدد تنتظمها سورة ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (البقرة: من الآية ٢٣) وقد أبهر هذا القرآن أفصح العرب وأبلغهم من قريش، وغيرهم، وأخذ بمجامع قلوبهم، وشنف آذانهم وأسماعهم، وأذعنوا له بالإنقياد والإستسلام، ورفعوا راية العجز عن محاكاته والقدرة على مضاهاته وشهدوا له بأنه ليس من كلام البشر كما في قصة الوليد بن المغيرة حينما سمع القرآن من النبي ﷺ وسأله عنه فقال لهم: (والله ما فيكم رجل أعلم بالشعر مني

(١) رواه ابن ماجه في الفتن باب ذهاب القرآن والعلم ١٣٤٤/٢ رقم ٤٠٤٩ من حديث حذيفة بن اليمان وسنده صحيح .

ولا أعلم برجزه ولا قصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول محمد شيئاً من هذا، والله إن لقوله لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يُعلى وإنه ليحطم ما تحته (١).

ثالثاً: الاكتشافات العلمية الحديثة التي تؤكد صدق أخباره التي أخبر بها عن بعض الشخصيات كشخصية هامان حيث ورد في القرآن إسناد فرعون إليه أعمال البناء قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صَرْحاً لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (غافر: ٣٦) ولم يرد لهامان ذكر في التوراة سوى بعض كتب العهد القديم التي ذكر فيها أن هامان مساعد لملك بابل في العراق، ومن هنا ادعى بعض الطاعنين في الإسلام أن النبي ﷺ هو الذي كتب القرآن، وأنه نسخ قصص الأمم السابقة من التوراة والإنجيل، فأخطأ في شخصية هامان، فذكر أنه وزير فرعون بينما هو مساعد ملك بابل، وجاء الكشفات الحديثة لتشهد بصدق القرآن وبطلان دعواهم حيث وجد اسم هامان مكتوباً بالهيروغليفية المصرية القديمة مع طبيعة عمله وهو: رئيس عمال الحجارة، وترجمت المهنة هذه التي وجدت في نقوش مصرية إلى اللغة الألمانية بمعنى رئيس أو مراقب العمال في مقالع الحجر (٢).

* * *

(١) رواه الحاكم ٥٠٦/٢ عن ابن عباس وقال صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي

- دار الكتاب العربي - بيروت .

(٢) انظر : بينات الرسول ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني ٢٠٤-٢٠٦ - طبع مركز البحوث بجامعة

الإيمان - ط الخامسة ٢٠٠٤ م .

المبحث الثاني إجلال الصحابة للنبي ﷺ

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : (إجلال الصحابة لذات النبي ﷺ) :

لقد كان الصحابة رضوان الله عليهم أكثر الناس إجلالاً للنبي ﷺ ولم يعرف عن أحد منهم قط ما يدل أو يشير إلى غير ذلك بل إن أقوالهم وأفعالهم وتعاملاتهم معه كلها تدل دلالة واضحة على تعظيمهم للنبي ﷺ وإجلالهم له، وهذه صور مشرقة وأمثلة مضيئة من هذا الإجلال والتعظيم الذي حازوا به شرف الدنيا وثواب الآخرة والرتبة العالية عند الله، فمن ذلك :

أولاً: عدم التقدم عليه ﷺ في كل شيء من أموره سواء كان في الكلام، أو المشي، أو الأمر، أو النهي، أو الرأي، أو الصلاة، أو غير ذلك من الأمور كلها كبيرها وصغيرها، وعظيمها وحقيقها، امثالاً منهم لأدب القرآن لهم بذلك في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (الحجرات: ١) ومحبة منهم للنبي ﷺ، وتقرباً منهم إلى الله تعالى بهذا الإجلال، ومن أوضح الأمثلة على هذا قصة أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الصلاة وإمتناعه من الإمامة بالنبي ﷺ والتقدم عليه فيها مع أنه كان قد كبر للصلاة وافتتحها ومع أمر النبي ﷺ له بالاستمرار فيها إلا أنه أصرَّ على الإمتناع، فعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ ذهب إلى بني عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة فجاء المؤذن إلى أبي بكر فقال أتصلي بالناس فأقيم؟ قال: نعم. قال: فصلى أبو بكر فجاء رسول الله ﷺ والناس في الصلاة فتخلص حتى وقف في الصف فصفق الناس، وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فلما أكثر

الناس التصفيق التفت فرأى رسول الله ﷺ، فأشار إليه رسول الله ﷺ أن امكث مكانك، فرفع أبوبكر يديه فحمد الله عز وجل على ما أمره به رسول الله ﷺ من ذلك، ثم استأخر أبوبكر حتى استوى في الصف، وتقدم النبي ﷺ فصلى ثم انصرف فقال: "يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك" قال أبوبكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلي بين يدي رسول الله ﷺ (١) وهذا غاية الإجلال من أبي بكر للنبي ﷺ ويظهر ذلك من حيث امتناعه من التقدم على النبي ﷺ في الإمامة ومن حيث تحقيره لنفسه من خلال نسبته نفسه إلى أبي قحافة مقارنة باسم النبي ﷺ الموصوف بالنبوة والرسالة، ومن ذلك أيضاً قصة أبي أيوب الأنصاري واستضافته للنبي ﷺ في بيته حين قدم المدينة مهاجراً ويحدثنا أبو أيوب عن ذلك فيقول: إن النبي ﷺ نزل عليه فنزل النبي ﷺ في السفلى، وأبو أيوب في العلو، فانتبه أبو أيوب ليلة فقال: نمشي فوق رأس رسول الله ﷺ، فتنحوا فباتوا في جانب، ثم قال للنبي ﷺ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: السفلى أرفق، فقال: لا أعلو سقيفة أنت تحتها، فتحول النبي ﷺ في العلو، وأبو أيوب في السفلى (٢) ومثل هذه القصة بل أغرب منها ما حدث من عبدالله بن عباس الغلام المراهق الثقف الذي لم يتجاوز عمره الخامسة عشرة من إجلال كبير للنبي ﷺ وهو يصلي معه، مما لم يهتد إليه أكابر الصحابة وفضلاؤهم، ويحدثنا عن ذلك فيقول: أتيت رسول الله ﷺ من آخر الليل فصليت خلفه فأخذ بيدي فجعلني حذاءه فلما أقبل رسول الله ﷺ على صلاته خنست فصلى رسول الله ﷺ فلما انصرف قال لي: ما شأنني أجعلك حذائي فتخنس. فقلت: يا رسول الله أو ينبغي لأحد أن

(١) رواه البخاري في الأذان باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول ١٩٦/٢ رقم ٦٨٤ ومسلم في الصلاة

باب تقديم الجماعة من يصلي بهم إذا تأخر الإمام ٣٦٥/٤ رقم ٩٤٨ .

(٢) رواه مسلم في الأشربة باب إباحة أكل الثوم وأنه ينبغي لمن أراد خطاب الكبار تركه ٢٣٨/١٤ رقم

يصلّي حذاءك وأنت رسول الله الذي أعطاك الله . قال : فأعجبته فدعا الله لي أن يزيدني علماً وفهماً^(١) وكان الصحابة رضوان الله عليهم إذا تكلموا بين يدي رسول الله ﷺ لا يتكلمون إلا بإذنه ولا يسبقونه بالكلام^(٢) وإذا مشوا معه فيمشون عن يمينه أو عن يساره أو من أمامه، ولا يمشون خلفه لنهي النبي ﷺ لهم عن ذلك لكون الملائكة تمشي خلفه^(٣) وكانوا إذا مشوا خلفه عجزوا عن إدراكه فقد كان إذا مشى تكفأ تكفوّاً كأنما انحط من صلب^(٤) بل روي أنه إذا مشى كأنما الأرض تطوى له وأنهم ليجهدون أنفسهم وإنه لغير مكترث بهم^(٥) وكانوا إذا كتبوا إليه قدموا اسمه على أسمائهم، مع أن السنة تقديم اسم المرسل كما حصل ذلك من خالد بن الوليد وغيره حيث جاء في كتابه إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبي رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته^(٦) وكل هذا كان منهم إجلالاً وتوقيراً للنبي ﷺ .

ثانياً : ومن إجلال الصحابة للنبي ﷺ عدم رفع أصواتهم فوق صوته بعد نزول قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﴾ (الحجرات : من الآية ٢) وكان إذا كلمه أحدهم فيكلمه مسارة كما ثبت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما ارتفع صوته وصوت عمر رضي الله عنه عند رسول

(١) رواه أحمد ١ / ٣٣٠ وإسناده صحيح .

(٢) لنهي القرآن لهم عن التقدم عليه .

(٣) رواه ابن ماجه في المقدمة باب من كره أن يوطأ عقباه ١ / ٩٠ رقم ٢٤٥ من حديث أبي أمامة وقال في الزوائد : إسناده ضعيف لضعف رواه ورواه في الموضع نفسه رقم ٢٤٦ من حديث جابر وقال في الزوائد : رجال إسناده ثقات .

(٤) رواه الترمذي في المناقب باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ٥ / ٥٩٨ رقم ٣٦٣٧ وقال حديث حسن صحيح .

(٥) رواه الترمذي في المناقب باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ٥ / ٦٠٤ رقم ٣٦٤٨ وقال : حديث غريب ، وفي الشمائل المحمدية ٥٥ رقم ١١٦ تعليق عزت عبيد الدعاس - دار الحديث - ط الثانية ١٩٨٥ م .

(٦) سيرة النبي ﷺ لابن هشام ٤ / ٢٦٣ .

الله ﷺ في شأن وفد بني تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معبد وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس ونزلت الآية في عتابهما^(١) فقال يا رسول الله والله لا أكلملك إلا كأخي السرار^(٢) وكذلك كان يفعل عمر رضي الله عنه^(٣) وسائر الصحابة أيضاً ومنهم ثابت بن قيس بن شماس فعن أنس بن مالك أنه قال لما نزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: من الآية ٢) جلس ثابت بن قيس في بيته وقال أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال يا أبا عمرو ما شأن ثابت؟ أشتكى؟ قال سعد: إنه لجاري وما علمت له بشكوى قال فأتاه سعد فذكر له قول النبي ﷺ فقال ثابت: أنزلت هذه الآية ولقد علمتم أنني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ فقال رسول الله: "بل هو من أهل الجنة"^(٤).

ولم يكن هذا الإجلال من الصحابة للنبي ﷺ خاصاً بحياته بل حتى بعد مماته عند ذكره، وفي مسجده، وعند الوقوف على قبره للسلام عليه، فعن السائب بن يزيد قال: كنت قائماً في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال إذهب فأتني بهذين فجئته بهما قال من أنتما أو من أين أنتما؟ قالاً من الطائف. قال لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما ترفعان أصواتكما في مسجد

(١) رواه البخاري في التفسير باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ٤٥٤/٨ رقم ٤٨٤٥ و ٤٥٧/٨ ، عن عبد الله بن الزبير .

(٢) رواه البزار (كشف الأستار ٦٩/٣ رقم ٢٢٥٧ عن أبي بكر الصديق) واسناده ضعيف كما قال ابن كثير في تفسيره ٢٢١/٤ .

(٣) رواه البخاري في الاعتصام باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع ٢٩٠/١٣ رقم ٧٣٠٢ عن عبد الله بن الزبير .

(٤) رواه مسلم في الإيمان باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله ٣١٥٣١٤/١ رقم ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ ، وبين أن ذكر سعد بن معاذ وهم من الراوي ورواه البخاري بنحوه في التفسير باب لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ٤٥٥/٨ رقم ٤٨٤٦ .

رسول الله ﷺ (١).

ثالثاً: عدم إحداد النظر إليه:

ومن إجلال الصحابة للنبي ﷺ عدم إطالتهم النظر إليه، وإذا تحدث معه أحد أو كلمه إنسان فيكلمه وهو مطرق الرأس خافض البصر، وإذا اشتد بأحد الشوق إلى النظر إليه فإنما هي مسارقة أو لحة خاطفة كما قال كعب بن مالك وهو يشرح قصة تخلفه وصاحبيه عن غزوة تبوك وتوبة الله عليهم: أما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد، وأتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام أم لا؟ ثم أصلي قريباً منه وأسارقه النظر فإذا أقبلت على صلاتي نظر إلي، وإذا التفت نحوه أعرض عني (٢) وفي صلح الحديبية لما جاء عروة بن مسعود الثقفي يفاوض النبي ﷺ من قبل قريش فجعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينه قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له فرجع عروة إلى أصحابه فقال أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً والله إن يتخمن نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجلده وإذا أمرهم ابتدروا أمره وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون إليه النظر تعظيماً

(١) رواه البخاري في الصلاة باب رفع الصوت في المسجد ٦٦٨/١ رقم ٤٧٠.

(٢) رواه البخاري في المغازي باب حديث كعب بن مالك ٧١٧/٧ رقم ٤٤١٨ ومسلم في التوبة باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ٩٠/١٧ رقم ٦٩٤٧.

له^(١) وحديث آخر من أحاديث الإجلال يقصه علينا عمرو بن العاص وهو في سياقة الموت فيقول: (إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله. إني قد كنت على أطباق ثلاث: لقد رأيتني وما أحد أشد بغضاً لرسول الله ﷺ مني، ولا أحب إلي أن أكون قد استمكنت منه فقتلته، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار. فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي ﷺ فقلت أبسط يمينك فلأبائعك فبسط يمينه قال فقبضت يدي قال ما لك يا عمرو؟ قلت أردت أن أشتري قال: تشتري بماذا؟ قلت أن يغفر لي قال: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله" وما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأنني لم أكن أملأ عيني منه، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة^(٢).

رابعاً: عدم الجهر له بالقول كما يجهر به المرء لأخيه كأن ينادى باسمه، أو بكنيته. ولم يعرف، ولم يؤثر، ولم يرو عن أحد منهم شيء من ذلك قط، بل كانوا معه في غاية التأدب والإجلال والتوقير إمتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ (الحجرات: من الآية ٢) وقوله: ﴿لَا تَجْعَلُوا دَعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ (النور: ٦٣) وقد كانت مناداتهم له بوصف الرسالة والنبوة أبداً، وإذا سمعوا من يناديه باسمه أنكروا عليه ولو كان من غير المسلمين فعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء خبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ قلت: ألا تقول يا رسول الله فقال اليهودي إنما

(١) رواه البخاري في الشروط باب الشروط في الجهاد ٣٨٨/٥ رقم ٢٧٣١-٢٧٣٢.

(٢) رواه مسلم في الإيمان باب كون الإسلام يهدم ما قبله وكذا الهجرة والحج ٣١٨/١ رقم ٣١٧.

ندعوه باسمه الذي سماه به أهله . فقال رسول الله ﷺ إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي^(١) هذا حقاً هو كمال الإجلال والتوقير المبني على كمال المحبة والطاعة لمن أحبه الله تعالى ووقره، واتخذته خليلاً، وفضله على سائر خلقه تفضيلاً صلى الله عليه وآله وسلم .

خامساً: هيبة الصحابة من النبي ﷺ تعظيماً وإجلالاً فلقد رزق عليه الصلاة والسلام الهيبة في قلوب أصحابه محبة منهم وتعظيماً، وإجلالاً له، لا رعباً ولا خوفاً منه كما يخاف من ملوك الأرض وجبابرتهم، لأنه لم يكن ملكاً ولا جباراً، وإنما كان عبداً نبياً متواضعاً رقيقاً هيناً سهلاً يأكل كما يأكل العبد ويجلس كما يجلس ويحلب شاته ويخصف نعله، ويرقع ثوبه، ويمشي بين الناس مثل واحد منهم لا يتميز عن أصحابه بمجلس ولا بملبس، حتى أنه ليدخل الرجل الغريب وهو بين أصحابه فلا يعرفه حتى يسأل عنه^(٢) . لكنه مع هذا قد أضفى الله تعالى عليه مهابة و جلالةً عند أصحابه لم يضيفها على أحد سواه، ولم تحصل من أحد منهم لغيره قط . كما نقل ذلك عروة بن مسعود لقريش بقوله : والله إن رأيت مليكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً^(٣) .

(١) رواه مسلم في الحيض باب بيان صفة مني الرجل والمرأة وأن الولد مخلوق من مائهما ٢١٧/٤ رقم ٧١٤ .
(٢) رواه البخاري في العلم باب ما جاء في العلم وقوله تعالى (وقل رب زدني علماً) ١٧٩/١ رقم ٦٣ .
(٣) سبق تخريجه برقم ١٠٥ ، ومثل هذا قول زينب امرأة عبد الله بن مسعود لما جاءت تسأل رسول الله ﷺ قالت : ((وكان رسول الله ﷺ قد ألقى عليه المهابة)) رواه مسلم في الزكاة باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين ٨٨/٧ رقم ٢٣١٥ وقول علي رضي الله عنه وهو يصف رسول الله ﷺ : ((من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله)) رواه الترمذي في المناقب باب ما جاء في صفة النبي ﷺ ٥٩٩/٥ رقم ٣٦٣٨ ويقول أبو هريرة : قال : رسول الله ﷺ ((سلوني فهايتوا أن يسألوه)) رواه مسلم في الإيمان باب الإسلام ما هو وبيان خصاله ١١٨/١ رقم ٩٩ وقول أنس في الرجل الذي نذر أن يقتل رجلاً من المشركين كان يدقهم ويحطمهم فتاب الرجل وجاء إلى رسول الله ﷺ قال أنس : فجعل الرجل الذي نذر يتصدى لرسول الله ليأمره بقتله ، وجعل يهاب رسول الله ﷺ أن يقتله)) رواه أبو داود في الجنائز باب أين يقوم الإمام من الميت إذا صلى عليه ٢٠٩/٣ رقم ٣١٩٤ وإسناده صحيح .

ومن صور هيبة الصحابة لنبيهم ﷺ :

١- هيبة أبي بكر وعمر وكبار الصحابة رضي الله عنهم أن يكلموه في شأن الصلاة يوم قصرها النبي ﷺ نسياناً فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ إحدى صلاتي العشي إما الظهر وإما العصر، فسلم في ركعتين، ثم أتني جذعاً في قبلة المسجد فاستند إليه مغضباً وفي القوم أبوبكر وعمر فهابا أن يتكلمما، وخرج سرعان الناس قالوا: قصرت الصلاة. فقام ذو اليدين فقال : يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت؟ فنظر النبي ﷺ يميناً وشمالاً فقال : ما يقول ذو اليدين؟ قالوا: صدق لم تصل إلا ركعتين، فصلى ركعتين، وسلم، ثم كبر، ثم سجد، ثم كبر، فرفع ثم كبر وسجد ثم كبر ورفع وسلم^(١).

٢- ارتعاد فرائص رجلين هيبة منه ﷺ :

وعن يزيد بن الأسود أنه صلى مع رسول الله ﷺ وهو غلام شاب فلما صلى إذا رجلان لم يصليا في ناحية المسجد، فدعا بهما فجيء بهما ترعد فرائصهما فقال : ما منعكما أن تصليا معنا؟ قالوا : صلينا في رحالنا . فقال : " لا تفعلوا إذا صلى أحدكم في رحله ثم أدرك الإمام ولم يصل فليصل معه فإنها له نافلة"^(٢).

٣- لطم الصحابي ليهودي فضل موسى عليه السلام على نبينا ﷺ :

عن أبي سعيد الخدري قال : جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه فقال يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار قد لطم وجهي فقال أدعوه

(١) رواه مسلم في الصلاة باب السهو في الصلاة والسجود له ٧٠ / ٥ رقم ١٢٨٨ .

(٢) رواه أبو داود في الصلاة باب فيمن صلى في منزله ثم أدرك الجماعة يصلي معهم ١٥٧ / ١ رقم ٥٧٥ والترمذي في أبواب الصلاة باب ما جاء في الرجل يصلي وحده ثم يدرك الجماعة ٤٢٥ / ١ رقم ٢١٩ وقال حديث حسن صحيح .

ومن هذا القبيل حديث ((قبلة بنت مخزوم أنها رأت النبي ﷺ وهو قاعد القرفصاء قالت فلما رأيت رسول الله ﷺ المتخشع في الجلسة أرعدت من الفرق)) رواه أبو داود في الأدب باب في جلوس الرجل ٢٦٢ / ٤ رقم ٤٨٤٧ وسنده ضعيف .

فدعوه فقال : ألطمت وجهه؟ قال يا رسول الله إني مررت باليهود فسمعتهم يقول والذي اصطفى موسى على البشر قال فقلت أعلى محمد ﷺ قال : فأخذتني غصبة فلطمته قال : " لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور" (١).

٤- قرع الصحابة لباب النبي ﷺ بالأظافر :

عن أنس بن مالك أن أبواب النبي ﷺ كانت تقرع بالأظافر (٢).

٥- هيبة الصحابة أن ينظروا إلى النبي ﷺ وزوجه حين صرعا عن دابتها :

عن أنس رضي الله عنه - في قصة زواج النبي ﷺ بصفية - وفيه قال : فانطلقنا حتى إذا رأينا جدر المدينة هششنا إليها، فرفعنا مطيئنا، ورفع رسول الله ﷺ مطيته قال وصفية خلفه قد أردفها رسول الله ﷺ قال فعثرت مطية رسول الله صلى الله عليه، فصرع، وصرعت، قال : فليس أحد من الناس ينظر إليه ولا إليها حتى قام رسول الله ﷺ فسترها قال فأتيناه فقال : " لم نُضَرَّ " قال فدخلنا المدينة (٣).

٦- تفضيل الصحابي حمار رسول الله ﷺ على المنافق :

عن أنس قال : قيل للنبي ﷺ لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً، فانطلق المسلمون يمشون معه - وهي أرض سبخة - فلما أتاه النبي ﷺ قال : إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك . فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك فغضب لعبد الله رجل من قومه فشتما،

(١) رواه البخاري في الديات باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب ١٢/ ٢٧٤ رقم ٦٩١٧ ، ومسلم في الفضائل باب من فضائل موسى عليه الصلاة والسلام ١٥/ ١٣٠ رقم ٦١٠٥ .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد ص ٢٧٨ رقم ١٠٨٠ حديث أكادمي - باكستان ، (والبزار كشف الاستار عن زوائد البزار ٢/ ٤٢١ رقم ٢٠٠٨) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٤/ ٢٣٧ رقم ٤٦٨١ .

(٣) رواه مسلم في النكاح باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها ١٠/ ٢٢٨ رقم ٣٤٨٧ .

فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي والنعال فبلغنا أنها أنزلت ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (الحجرات: من الآية ٩) (١).

٧- ترك الصحابة مجالسة النبي ﷺ في حال الجنابة إجلالاً له:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب فانخنست منه فذهب فاغتسل، ثم جاء فقال أين كنت يا أبا هريرة فقال: كنت جنباً فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة فقال: "سبحان الله إن المسلم لا ينجس" (٢).

ومثل هذا وقع لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه عندما لقي النبي ﷺ وهو جنب فحاد عنه فاغتسل، ثم جاء فقال للنبي ﷺ: كنت جنباً فقال: إن المسلم لا ينجس (٣).

٨- ترك عائشة التحرك والنبي ﷺ نائم على فخذه إجلالاً له:

عن عائشة رضي الله عنها قال خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره - وذكرت قصة عقدها - ثم قالت: فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعن بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي (٤).

(١) رواه البخاري في الصلح باب ما جاء في الإصلاح بين الناس ٣٥١/٥ رقم ٢٦٩١ ومسلم في الجهاد باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين ٣٦٩/١٢ رقم ٤٦٣٧ .

(٢) رواه البخاري في الغسل باب عرق الجنب وأن المسلم لا ينجس ٤٦٤/١ رقم ٢٨٣ ومسلم في الطهارة باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ٢٨٩/٣ رقم ٨٢٢ .

(٣) رواه مسلم في الطهارة باب الدليل على أن المسلم لا ينجس ٢٩٠/٣ رقم ٨٢٣ .

(٤) رواه البخاري في التيمم باب (١) ٥١٤/١ رقم ٣٣٤ ، ومسلم في الحيض باب التيمم ٢٨١/٣ رقم ٨١٤ .

٩- تظليل أبي بكر على النبي ﷺ بردائه من الشمس :

عن عروة بن الزبير - في قصة هجرة النبي ﷺ وفيه : فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيى أبا بكر حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك (١) .

١٠- إجلال الصحابة للنبي ﷺ أن يجهروا عنده بما يستحيا من ذكره لغير

حاجة :

عن عائشة قالت : (جاءت امرأة رفاعة القرظي رسول الله ﷺ وأنا جالسة وعنده أبو بكر فقالت يا رسول الله إني كنت تحت رفاعة فطلقني فبت طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير، وإنه والله ما معه يا رسول الله إلا مثل الهدبة - وأخذت هُذبةً من جلبابها - فسمع خالد بن سعيد قولها وهو بالباب لم يؤذن له قالت فقال خالد : يا أبا بكر ألا تنهى هذه عما تجهر به عند رسول الله ﷺ ، فلا والله ما يزيد رسول الله ﷺ على التبسم فقال لها رسول الله ﷺ : لعلك تريد أن ترجعي إلي رفاعة لا ، حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته . فصار سنة بعده (٢) وإنما لم تستح هذه المرأة أن تسأل عما يستحي منه النساء لأنها مضطرة إلى ذلك ولأنه لا يوجد من تسأله غير النبي ﷺ ، ولأن هذا من التفقه في الدين وقد قال النبي ﷺ : " من يرد الله به خيراً يفقه في الدين " (٣) وهي منقبة تميز بها نساء الأنصار

(١) رواه البخاري في مناقب الأنصار باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٢٨٢/٧ رقم ٣٩٠٦ مرسلأ ، وذكر ابن حجر في الفتح ٢٨٦/٧ إن الحاكم وصله من طريق معمر عن الزهري قال أخبرني عروة أنه سمع الزبير به .

(٢) رواه البخاري في اللباس باب الإزار المهدب ٢٧٦/١٠ رقم ٥٧٩٢ ومسلم في النكاح باب لا تحل المطلقة ثلاثاً لمطلقها حتى تنكح زوجاً غيره ٢٤٣/١٠ رقم ٣٥١٢-٣٥١٨ .

(٣) رواه البخاري في العلم باب من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين ١٩٧/١ رقم ٧١ ، ومسلم في الزكاة باب النهي عن المسألة ١٢٩/٧ رقم ٢٣٨٩ عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

كما قالت عائشة : (نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين)^(١).

١١- امتناع أحد الصحابة أن يركب والنبي ﷺ يمشي إجلالاً له إلا بعد أن أصر عليه فركب خوفاً من الإثم :

عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي : يا عقبة ألا تركب؟ قال فأجللت رسول الله ﷺ أن أركب مركبه ثم قال : يا عقيب ألا تركب؟ قال فأشفقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنيئاً ثم ركب^(٢).

١٢- سكوت الصحابة بين يدي النبي ﷺ إجلالاً له :

عن أسامة بن شريك قال : " أتيت النبي ﷺ وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير فسلمت ثم قعدت "^(٣).

١٣- هيبة الصحابة من مسألة النبي ﷺ إجلالاً له :

عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال : إن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته يوقرونه ويهابونه فسأله الأعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم إني اطلعت من باب المسجد وعلي ثياب خضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال : أين السائل؟ عمن قضى نحبه؟ قال : أنا يا رسول الله قال : " هذا ممن قضى نحبه "^(٤) ومعنى (قضى نحبه) - أي أجله وعهده أي أنهم ما غيروا عهد الله ولا نقضوه ولا

(١) رواه مسلم في الحيض باب استحباب استعمال المغتسلة من الحيض فرصة من مسك في موضع الدم ٢٤١ / ٤ رقم ٧٤٨ .

(٢) رواه أحمد ١٤٤ / ٤ وإسناده صحيح .

(٣) رواه أبو داود في الطب باب في الرجل يتداوى ٣ / ٤ رقم ٣٨٥٥ وإسناده صحيح .

(٤) رواه الترمذي في تفسير القرآن باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب ٣٥٠ / ٥ رقم ٣٢٠٣ وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يونس بن بكير .

بدلوه^(١).

وهكذا كان السف الصالح من التابعين ومن بعدهم مع النبي ﷺ بعد موته: قال مالك لأبي جعفر المنصور الخليفة: (يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد - يعني مسجد رسول الله ﷺ فإن الله تعالى أدب قوماً فقال: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ (الحجرات: من الآية ٢) ومدح قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ (الحجرات: من الآية ٣) وذم قوماً فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَنَادُونَكَ﴾ (الحجرات: من الآية ٤) وإنه حرّمته ميتاً كحرّمته حياً، فاستكان لها أبو جعفر^(٢).

وقال مالك أيضاً: ما حدثتكم عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي ﷺ كتبت عنه^(٣) وذكر العلماء عن مالك أنه كان إذا ذكر النبي ﷺ يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقليل له يوماً في ذلك فقال لو رأيتم ما رأيتم لما أنكرتم عليّ ما ترون ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعا به والتبسم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ إصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله ﷺ إلا على طهارة ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي ﷺ فينظر إلى لونه كأنه نزع منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة منه لرسول الله ﷺ، ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي ﷺ فكأنه ما عرفك ولا عرفته^(٤).

(١) تفسير ابن كثير ٤٨٣/٣.

(٢) الشفاء للقاضي عياض ٤١/٢.

(٣) الشفاء للقاضي عياض ٤١/٢.

(٤) المصدر السابق ٤٢/٢.

المطلب الثاني: (إجلال الصحابة لسنة ﷺ وأمره ونهيه وحكمه) :
لم يكن أحد من السلف الصالح أكثر إجلالاً وتوقيراً لسنة النبي ﷺ من
الصحابة رضوان الله عليهم ولقد تعددت صور هذا الإجلال ومظاهره لديهم فمن
ذلك :

أولاً: حثهم على العمل بالسنة وتمسكهم بها وتحذيرهم من الإعراض عنها
وترك العمل بها، ومن روي عنه ذلك :

١- أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإنه لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو
بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل
الناس وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن
قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله فقال أبو
بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني
عقلاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه^(١).

وكان النبي ﷺ قد عقد لأسامة بن زيد لواء وأمره على جيش لقتال الروم
فتوفي النبي ﷺ قبل أن يخرج الجيش وطلب من أبي بكر تأخير الجيش فقال: والله
لأن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله ﷺ ثم
بعثه^(٢).

٢- وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يخاطب الحجر الأسود فيقول: أما والله إني
لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنني رأيت النبي ﷺ استلمك ما استلمتك
فاستلمه، ثم قال: ما لنا وللرمل؟ إنما كنا راءيناه به المشركين وقد أهلكهم الله، ثم

(١) رواه البخاري في الزكاة باب وجوب الزكاة ٣/٣٠٨ رقم ١٣٩٩، ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال
الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/١٥٠ رقم ١٢٤.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٤/٦٧-٦٨ دار بيروت للطباعة والنشر - ١٩٨٠ م.

قال: شيء صنعه النبي ﷺ فلا نحب أن نتركه^(١).

٣- وابنه عبد الله بن عمر وكان من أشد الناس تمسكاً بالأثر، سأل رجل عن استلام الحجر فقال: رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله. قال: رأيت إن زحمتُ رأيت إن غلبتُ؟ قال: اجعل رأيت باليمن رأيت رسول الله ﷺ يستلمه ويقبله^(٢).

٤- وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: من سره أن يلقي الله غداً مسلماً فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم^(٣).

٥- وعبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: تمتع النبي ﷺ فقال عروة بن الزبير: نهى أبو بكر وعمر عن المتعة. فقال ابن عباس: أراهم سيهلكون أقول قال النبي ﷺ ويقولون نهى أبو بكر وعمر^(٤).

٦- وعلي بن أبي طالب وكان قد اختلف مع عثمان رضي الله عنهما في المتعة فقال علي: ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله النبي ﷺ فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعاً وقال: ما كنت لأدع سنة النبي ﷺ لقول أحد^(٥).

٧- وسالم بن عبد الله بن عمر روى عن جده عمر بن الخطاب قال: إذا رميتم الجمرة سبع حصيات وذبحتم وحلقتم فقد حل لكم كل شيء إلا الطيب والنساء. قال سالم: وقالت عائشة: أنا طيبت رسول الله ﷺ لحله قبل أن يطوف بالبيت.

(١) رواه البخاري في الحج باب الرمل في الحج والعمرة ٣/٥٥٠ رقم ١٦١٠، ١٦٠٥.

(٢) رواه البخاري في الحج باب تقبيل الحجر ٣/٥٥٥ رقم ١٦١١.

(٣) رواه مسلم في المساجد باب صلاة الجماعة من سنن الهدى ١٥٨/٥ رقم ١٤٨٥.

(٤) رواه أحمد ١/٣٣٧، ورواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله، ص ٥٠٢، تقديم عبد الكريم الخطيب - دار الكتب الحديثة - القاهرة.

(٥) رواه البخاري في الحج باب التمتع والقرآن والإفراد بالحج ٣/٤٩٣، ٤٩٤ رقم ١٥٦٣، ١٥٦٩.

قال سالم: فسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع^(١).

ثانياً: تثبت الصحابة في رواية السنة:

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أرسى هذه القاعدة في الأمة عند الشك أو الريبة، وهذا منه غاية الإجلال والتوقير لسنة النبي ﷺ قال الذهبي: وهو أول من احتاط في قبول الأخبار^(٢) فعن قبيصة بن ذؤيب قال جاءت الجدة إلى أبي بكر تسأله ميراثها قال: فقال لها: مالك في كتاب الله شيء ومالك في سنة رسول الله ﷺ شيء فارجعي حتى أسأل الناس فسأل الناس فقال المغيرة بن شعبة حضرت رسول الله ﷺ فأعطاهما السدس فقال أبو بكر: هل معك غيرك؟ فقام محمد بن مسلمة الأنصاري فقال مثل ما قال المغيرة ابن شعبة فأنفذه لها أبو بكر^(٣).

وكذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد استأذن عليه أبو موسى الأشعري ثلاثاً فلم يأذن له لكونه كان مشغولاً فرجع فقال عمر: ردوا عليّ ردوا عليّ فجاء فقال يا أبا موسى ما ردّك؟ كنا في شغل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: الاستئذان ثلاث فإن أذن لك وإلا فارجع قال: لتأتيني على هذا بيينة وإلا فعلت وفعلت أي لأوجعن ظهرك وبطنك كما في رواية أخرى، قال عمر إن وجد بيينة تجدوه عند المنبر عشية وإن لم يجد بيينة فلم تجدوه فلما أن جاء بالعشي وجدوه قال: يا أبا موسى ما تقول أقد وجدت؟ قال: نعم أبي بن كعب قال: عدل، قال يا أبا الطفيل ما يقول هذا؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك، يا ابن الخطاب فلا تكوننّ عذاباً على أصحاب رسول الله ﷺ قال: سبحان الله إنما سمعت شيئاً فأحببت أن أثبت^(٤).

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ص ٥٠٣.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ٢/١ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) رواه الترمذي في الفرائض باب ما جاء في ميراث الجدة ٤/٤٢٠ رقم ٢١٠١.

(٤) رواه البخاري في الاستئذان باب التسليم والاستئذان ثلاثاً ١١/٢٨ رقم ٦٢٤٥، ومسلم في الآداب باب الاستئذان ١٤/٣٥٩ رقم ٥٥٩٨ وفي أكثر الأحاديث أن الذي شهد لأبي موسى هو أبو سعيد الخدري ويجمع بينها أن أبا سعيد هو الذي شهد لأبي موسى عند عمر وجاء أبي بن كعب بعد ذلك بصدقه.

وكان علي رضي الله عنه يتثبت ممن يحدثه باستحلافه فإن حلف له صدقه وإن لم يحلف له لم يصدقه فقد ثبت عنه أنه قال: كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً نفعتني الله بما شاء منه وإذا حدثني عنه غيري استحلقتني فإذا حلف لي صدقته وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني وصدق أبو بكر أنه سمع النبي ﷺ قال: ما من رجل يذنب ذنباً فيتوضأ فيحسن الوضوء ثم يصلي ركعتين فيستغفر الله عز وجل إلا غفر له (١).

ثالثاً: احتياط الصحابة في رواية حديث النبي ﷺ وقد اتخذ هذا الاحتياط أشكالاً عدة منها:

أ- الإقلال من الرواية ورعاً وزهداً وخوفاً وخشية أن يقعوا في الخطأ والزلل أو نسبة شيء إلى النبي ﷺ لم يقله أو يفعله من حيث لا يشعرون، فعن مجاهد قال: صحبت ابن عمر إلى المدينة فلم أسمعهم يحدث عن رسول الله ﷺ إلا حديثاً واحداً قال: كنا عند النبي ﷺ فأُتي بجُمَارٍ فقال: إن من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم فأردت أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغر القوم فسكت قال النبي ﷺ هي النخلة (٢).

وعن توبة العنبري قال: قال لي الشعبي: رأيت فلاناً الذي يقول قال رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ قعدت مع ابن عمر سنتين أو سنة ونصفاً فما سمعته يحدث عن رسول الله ﷺ شيئاً إلا هذا الحديث (٣).

وعن محمد بن سيرين قال: كان أنس قليل الحديث عن رسول الله ﷺ (٤).

وعن السائب بن يزيد قال: خرجت مع سعد إلى مكة فما سمعته يحدث

(١) رواه أحمد ٢/١، والترمذي في تفسير القرآن باب (٤) ومن سورة آل عمران ٥/٢٢٨ رقم ٣٠٠٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥/١٧٣ رقم ٥٦١٤.

(٢) رواه البخاري في العلم باب الفهم في العلم ١/١٩٨ رقم ٧٢.

(٣) رواه الدارمي في المقدمة باب من هاب الفتيا مخافة السقط ١/٧٢ رقم ٢٧٨.

(٤) المصدر السابق ١/٧٣ رقم ٢٨٢.

حديثاً عن رسول الله ﷺ حتى رجعنا إلى المدينة (١).

وعن عمرو بن ميمون قال: كنت لا تفوتني عشيّة خميس إلا آتني فيها عبد الله بن مسعود فما سمعته يقول لشيء قط قال رسول الله ﷺ حتى كانت ذات عشيّة فقال: قال رسول الله ﷺ قال: فاغرورقتا عيناه وانتفخت أوداجه وقال: أو مثله أو نحوه أو شبيهه به (٢).

ب- استخدامهم عبارات عقب رواية الحديث تدل على الاحتياط مثل قولهم (نحوه أو مثله أو كما قال رسول الله ﷺ) كما تقدم نقله عن ابن مسعود وكما قال محمد بن سيرين: كان أنس إذا حدث عن رسول الله ﷺ حديثاً قال: وكما قال رسول الله ﷺ (٣).

وكذلك كان أبو الدرداء يفعل إذا حدث بحديث عن رسول الله ﷺ قال: هذا ونحوه أو شبيهه أو شكله (٤).

ج- تدافع الفتوى والتحديث فيما بينهم.

حيث يحيل كل واحد منهم إلى غيره، حتى إن المسألة لترجع إلى الأول، ولم يكن هذا منهم لقلّة بضاعتهم في العلم، أو لزهدهم في رواية الحديث، ولكنه كان من باب الورع والتقوى والاحتياط والإجلال لسنة النبي ﷺ قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أدركت عشرين ومائة من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم رجل يسأل عن شيء إلا ودّ أن أخاه كفاه ولا يحدث حديثاً إلا يود أن أخاه كفاه (٥). وقال آخر: كنت أرى الرجل في ذلك الزمان وإنه ليدخل يسأل عن الشيء

(١) المصدر السابق ١/ ٧٣ رقم ٢٨٤ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٧٢ رقم ٢٧٦ .

(٣) المصدر السابق ١/ ٧٣ رقم ٢٨٣ .

(٤) المصدر السابق ١/ ٧١ رقم ٢٧٤ .

(٥) جامع بيان العلم وفضله ، ص ٤٥٨ .

فيدفعه الناس من مجلس إلى مجلس حتى يدفع إلى مجلس سعيد بن المسيب كراهية الفتوى (١).

وعن معاوية بن أبي عياش أنه كان جالساً عن عبد الله بن الزبير وعاصم بن عمر فجاءهما محمد بن إياس بن البكير فقال: إن رجلاً من أهل البادية طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها فماذا تريان؟ فقال عبد الله بن الزبير: هذا الأمر مالنا فيه قول فاذهب إلى عبد الله بن عباس وأبي هريرة فإني تركتهما عند عائشة زوج النبي ﷺ فسلهما ثم ائتتنا فأخبرنا. فذهب فسألهما فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة فقد جاءتك معضلة فقال أبو هريرة: الواحدة تُبينها والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره (٢).

وهذه عائشة أم المؤمنين وفقية النساء تُسأل فتحيل إلى علي رضي الله عنه فعن شريح بن هانئ قال أتيت عائشة أسألها عن المسح على الخفين فقالت: عليك بابن أبي طالب فأسأله فإنه كان يسافر مع رسول الله ﷺ فسألناه فقال: جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوماً وليلة للمقيم (٣).

وقصة أخرى يسأل فيها بعض الصحابة عائشة فتحيلهم إلى غيرها فعن كريب مولى ابن عباس أن عبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة أرسلوه إلى عائشة زوج النبي ﷺ فقالوا اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد العصر وقل إنا أخبرنا أنك تصلينهما وقد بلغنا أن رسول الله ﷺ نهى عنهما قال ابن عباس: وكنت أضرب مع عمر بن الخطاب الناس عليها قال كريب: فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلوني به فقالت: سل أم سلمة فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة فقالت

(١) المصدر السابق، ص ٤٥٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٥٨.

(٣) رواه مسلم في الطهارة ١٦٧/٣ رقم ٦٣٧.

أم سلمة: سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنهما ثم رأيته يصليهما أما حين صلاهما فإنه صلى العصر ثم دخل وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار، فصلاهما فأرسلت إليه الجارية فقالت قومي بجنبه فقولني له تقول أم سلمة يا رسول الله إني أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين وأراك تصليهما فإن أشار بيده فاستأخري عنه فلما انصرف قال يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر إنه أتاني ناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان^(١).

* * *

المبحث الثالث

إجلال الحيوانات للنبي ﷺ

لقد عرفت جميع المخلوقات قدر النبي ﷺ وعظمته فأجلته وقدرته إلا عصاة الإنس والجن الذين أعمى الله بصرهم وبصائرهم عن الحق فإنهم لم يعرفوا له قدراً ولا رفعوا له وزناً حتى ذهبوا إلى أسفل سافلين في النقد والخط والاستهزاء ومن ذلكم تلکم الصور المشينة التي تحط من قدر أرذل الخلق فضلاً عن أعظمهم مكانة وأشرفهم منزلة وأعلاهم رتبة عند الله تعالى ولقد كانت الحيوانات أهدى منهم سبيلاً وأعقل منهم وأعرف منهم بقدر النبي ﷺ ومكانته كما قال تعالى مبيناً التفاوت بينهم وبين البهائم في معرفته سبحانه: ﴿إِنْ هُمْ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾ (الفرقان: ٤٤) ومن أوضح الأدلة على تعظيم الحيوانات للنبي ﷺ قصة البراق الذي أُسري عليه النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه^(٢).

(١) رواه مسلم في صلاة المسافرين باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي ﷺ بعد العصر ٣٥٨/٦

رقم ١٩٣٠ .

(٢) رواه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات ١/٣٨٤ رقم ٤٠٩ .

فإنه لما أتى به ليلة أسري به ﷺ استصعب عليه فقال له جبريل: أبحمد تفعل هذا؟ فما ركبك أحد أكرم على الله منه قال فافرض عرقاً^(١) أي: (سال وجري).
- وقصة الوحش الذي كان في بيت النبي ﷺ فقد قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: كان لآل رسول الله ﷺ وحش فإذا خرج رسول الله ﷺ لعب واشتد وأقبل وأدبر فإذا أحس برسول الله ﷺ قد دخل ربض فلم يترمرم مادام رسول الله ﷺ في البيت كراهية أن يؤذيه^(٢).

- وقصة الجمل الذي منع أهله ركوبه والسقي عليه فقد روى أنس رضي الله عنه قال: كان أهل بيت من الأنصار لهم جمل يسنون عليه وإن الجمل استصعب عليهم فمنعهم ظهره، وأن الأنصار جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فقالوا له: إنه كان لنا جمل نسني عليه وإنه استصعب علينا ومنعنا ظهره وقد عطش الزرع والنخل.
فقال رسول الله ﷺ لأصحابه قوموا فقاموا فدخل الحائط والجمل في ناحية فمشى النبي ﷺ نحوه فقالت الأنصار: يا نبي الله إنه قد صار مثل الكلب الكلب وإنما نخاف عليك صولته فقال: ليس عليّ منه بأس فلما نظر الجمل إلى رسول الله ﷺ أقبل نحوه حتى خر ساجداً بين يديه فأخذ رسول الله ﷺ بناصيته أذلّ ما كانت قط حتى أدخله في العمل فقال له أصحابه يا رسول الله هذه بهيمة لا تعقل تسجد لك ونحن نعقل فنحن أحق أن نسجد لك فقال لا يصح لبشر أن يسجد لبشر ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها
(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن باب (١٨) ومن سورة بني إسرائيل ٣٠١/٥ رقم ٣١٣١، وقال حديث حسن غريب ولا نعرفه إلا من حديث عبد الرزاق.

(٢) رواه أحمد ١١٢/٦ - ١١٣، وأبو يعلى ٤١٨/٧، تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث - ط الأولى - ١٩٨٤م، والطحاوي في شرح معاني الآثار ١٩٥/٤، دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٧٩م، وصححه الذهبي في تاريخ الإسلام - السيرة النبوية ص ٣٤٩، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - ط الأولى - ١٩٩٣م، وابن كثير في شمائل الرسول ص ٢٨٣ وقال: إسناده على شرط الصحيح، تحقيق الدكتور مصطفى عبد الواحد - مؤسسة علوم القرآن - بيروت - ط الثانية - ١٩٨٨م.

والذي نفسي بيده لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تنبجس بالقح والصدید ثم استقبلته فلحسته ما أدت حقه (١).

وعن جابر قال أقبلنا مع رسول الله ﷺ من سفر حتى إذا دفعنا إلى حائط من حيطان بني النجار إذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلا شدّ عليه قال فذكروا ذلك للنبي ﷺ فجاء حتى أتى الحائط فدعا البعير فجاء واضعاً مشفره إلى الأرض حتى برك بين يديه قال فقال النبي ﷺ هاتوا خطاماً فخطمه ودفعه إلى صاحبه قال ثم التفت إلى الناس فقال : إنه ليس شيء بين السماء والأرض إلا يعلم أنني رسول الله ﷺ إلا عاصي الجن والإنس (٢).

وحديث آخر أعجب وأغرب فعن عبد الله بن قرط عن النبي ﷺ قال : إن أعظم الأيام عند الله تبارك وتعالى يوم النحر ثم يوم القر - وهو اليوم الثاني - قال وقرب لرسول الله ﷺ بدنان خمس أوست فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ فلما وجبت جنوبها قال : من شاء اقتطع (٣).

وقصة الذئب الذي تكلم وشهد للنبي ﷺ بالرسالة وهي من أغرب الأخبار ولكنها قصة صحيحة وحقيقية فعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : بينا أعرابي في بعض نواحي المدينة في غنم له عدا عليه الذئب فأخذ شاة من غنمه فأدركه الأعرابي فاستنقذها منه وهجهجه فعانده الذئب يمشي ثم أقعى مستذفراً بذنبه يخاطبه فقال : أخذت رزقاً رزقنيه الله قال : واعجباً من ذئب مقع مستذفر بذنبه يخاطبني فقال : والله إنك لتترك أعجب من ذلك قال : وما أعجب من ذلك ؟ فقال : رسول الله ﷺ في النخلتين بين الحرتين يحدث الناس عن نبأ ما قد سبق وما

(١) رواه أحمد ١٥٨/٣ ، وقال ابن كثير في شمائل الرسول ص ٢٦٣ : أسنده جيد .

(٢) رواه أحمد ٣١٠/٣ بإسناد حسن .

(٣) رواه أبو داود في المناسك باب في الهدى إذا عطب قبل أن يبلغ ١٤٨/٢ رقم ١٧٦٥ ، وأحمد ٣٥٠/٤

وإسناده صحيح .

يكون بعد ذلك فننق الأعرابي بغنمه حتى ألقاها إلى بعض المدينة ثم مشى إلى النبي ﷺ حتى ضرب عليه بابه فلما صلى النبي ﷺ قال أين الأعرابي صاحب الغنم فقام الأعرابي فقال له النبي ﷺ: حدث الناس بما سمعت وما رأيت فحدث الأعرابي الناس بما رأى من الذئب وما سمع منه فقال النبي ﷺ عند ذلك صدق آيات تكون قبل الساعة والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده (١).

المبحث الرابع إجلال الجمادات وتعظيمها للنبي ﷺ

ومن ذلك:

١- تسليم الحجر عليه قبل البعثة وبعدها:

عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث إني لأعرفه الآن (٢) وفي رواية (إن بمكة حجراً كان يسلم علي ليالي بعثت إني لأعرفه الآن) (٣).

٢- سجود الحجر والشجر وانقيادها له:

عن أبي موسى رضي الله عنه قال: خرج أبو طالب إلى الشام وخرج معه النبي ﷺ في أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج إليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون فلا يخرج إليهم ولا يلتفت قال فهم يحلون

(١) رواه أحمد ٨٣/٣ - ٨٤، ٨٨، وقال ابن كثير في شمائل الرسول ص ٢٧٧: إسناده على شرط الصحيح.

(٢) رواه مسلم في الفضائل باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة ٣٨/١٥ رقم ٥٨٩٨.

(٣) رواه الترمذي في المناقب باب في آيات إثبات نبوة النبي ﷺ وما قد أخضه الله عز وجل به ٥/٩٣ رقم ٣٦٢٤، وقال حديث حسن غريب.

رحالهم فجعل يتخللهم الراهب حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ قال: هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمةً للعالمين فقال له أشياخ من قريش: ما علمك؟ فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلا خرّ ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاماً فلما أتاهاهم به وكان هو في رعية الإبل قال أرسلوا إليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه... (١)

الحديث .

وعن جابر رضي الله عنه قال: نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله ﷺ يقضي حاجته فاتبعته بإداوة من ماء فنظر رسول الله ﷺ فلم ير شيئاً يستتر به وإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطق رسول الله ﷺ إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي عليّ بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها فقال: انقادي عليّ بإذن الله تعالى فانقادت معه كذلك حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأمّ بينهما يعني جمعهما فقال: التئما عليّ بإذن الله فالتئمتا (٢).

٣- حنين الجذع وبكاؤه على النبي ﷺ :

عن جابر أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة فقالت امرأة من الأنصار أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبراً فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبي ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه يئن أنين الصبي الذي يُسكن قال: كانت تبكي على ما كانت

(١) رواه الترمذي في المناقب باب في بدء نبوة النبي ﷺ ٥٩٠/٥ رقم ٣٦٢٠، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) رواه مسلم في الزهد باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر ١٨/٣٣٩ رقم ٧٤٣٧.

تسمع من الذكر عندها) (١).

٤- تسبيح الطعام بين يدي النبي ﷺ :

عن عبد الله بن مسعود قال: كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفاً كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلّ الماء فقال: اطلبوا فضلةً من ماء. فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حيّ على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يُؤكل) (٢).

٥- الشجر يشهد للنبي ﷺ بالرسالة :

عن ابن عمر قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فأقبل أعرابي فلما دنا منه قال له رسول الله ﷺ أين تريد؟ قال إلى أهلي قال: هل لك في خير قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله قال: ومن يشهد على ما تقول قال: هذه السّلمة فدعاها رسول الله ﷺ وهي بشاطئ الوادي فأقبلت تخذ الأرض خدّاً حتى قامت بين يديه فأشهادها ثلاثاً فشهدت ثلاثاً أنه كما قال ثم رجعت إلى منبتها ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن اتبعوني آتكم بهم وإلا رجعت فكنتم معك) (٣).

٦- جبل أحد يرصف هيبة من النبي ﷺ :

عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ صعد أحداً وأبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم فقال: اثبت أحد فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) (٤).

(١) رواه البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٩٦ رقم ٣٥٨٤ .

(٢) رواه البخاري في المناقب باب علامات النبوة في الإسلام ٦/٦٧٩ رقم ٣٥٧٩ .

(٣) رواه الدارمي في المقدمة باب ما أكرم الله به نبيه من إيمان الشجر به والبهائم والجن ١/١٧-١٨ رقم ١٦، والطبراني ١٢/٤٣١، ٤٣٢ رقم ١٣٥٨٢، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٩٢: رجاله رجال الصحيح، وقال ابن كثير في شمائل الرسول ص ٢٤٢: أسنده جيد ولم يخرجوه .

(٤) رواه البخاري في فضائل الصحابة باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً ٧/٢٦ رقم ٣٦٧٥ .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد :

فإن إجلال النبي ﷺ أمرٌ حتمٌ على الأمة، وذلك لما أعطاه الله من النبوة الخاتمة والرتبة العالية على الخلق أجمعين والتي استحق بها هذا الإجلال والتوقير، وليس ثم شك أن من يتعرض له عليه الصلاة والسلام بالإهانة والتحقير بكلام، أو فعل، أو إشارة، أو رسوم، ونحو ذلك أنه غير مجلٍ له ومتجاوز لحده بل وخارج عن دائرة الإسلام.

وقد رأينا في هذا البحث صور الإجلال التي نالها ﷺ ابتداءً من إجلال ربه وخالفه له، وذلك في المبحث الأول والذي اشتمل على نصوص كثيرة كلها تدل وتوجب احترام النبي ﷺ وتوقيره وإجلاله.

ثم انتقل البحث بعد ذلك للمبحث الثاني وفيه إجلال الصحابة للنبي ﷺ، الذي قدم فيه الصحابة رضوان الله عليهم صوراً مشرقةً من الإجلال لذاته وشخصه ﷺ، ولأمره ونهيه وحكمه وسنته.

ثم جاء المبحث الثالث ليتحدث عن إجلال الحيوانات للنبي ﷺ، وهو أمرٌ لم يكن ليصدق لولا أنه تواترت به الأخبار وصحت به النقول إليه ﷺ، وهذا وربك إحدى المعجزات الشاهدة على صدق نبوته وأن ما جاء به حق من عند الله تعالى.

ثم كان المبحث الرابع الخاتم لهذا البحث وهو إجلال الجمادات وتعظيمها للنبي ﷺ، وهو كسابقه أحد دلائل نبوته ﷺ لأن الله تعالى أنطق له الأحجار والأشجار وانقادات له وحنّت إليه وسبحت بين يديه وشهدت له بالرسالة وكان ذلك من أبين الأدلة وأوضحها على إجلاله وتوقيره ومن أبينها على خوارق معجزاته ﷺ.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث :

- ١ . عظم قدر النبي ﷺ عند ربه جلّ وعلا، وأن قدره عنده أعظم من قدر الملائكة والنبیین والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.
- ٢ . وجوب إجلاله ﷺ وتعظيمه وتوقيره، وأن من لم يجلّه ﷺ فليس بمؤمن وليس من أهل الإسلام في شيء.
- ٣ . عظم مكانة النبي ﷺ في قلوب أصحابه، وترجمة ذلك منهم قولاً وفعلًا بسلوكيات تدل على شدة تعظيمهم وتوقيرهم له.
- ٤ . اتفاق سائر المخلوقات غير الجن والإنس على معرفة قدر النبي ﷺ ومكانته وانقيادها وإجلالها له.

ثم إنني في ختام هذا البحث أوصي بما يلي :

- ١ . أن يقرر على طلبة المرحلة الأساسية والثانوية والجامعية شيء مما يتعلق بمكانة النبي ﷺ وقدره وما يجب على الأمة تجاهه ليزداد بذلك حبهم له والافتداء به واتباعه.
 - ٢ . أن يكثّر العلماء والكتاب الإسلاميون من التعريف به صلى الله عليه وسلم ومكانته وعظم قدره وذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة ليعرف الجاهل والهاقد عظم هذا النبي الكريم وجلالته عند ربه وعند المسلمين.
 - ٣ . أن ينبري العلماء والكتاب الإسلاميون للرد على كل من يسيئ إليه عليه الصلاة والسلام بكلمة أو رسوم ونحو ذلك وهذا من نصرتة عليه الصلاة والسلام الواجبة على الأمة.
- والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مصادر البحث

- ١- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان لابن بلبان - ضبط كمال يوسف الحوت - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٨٧ م.
- ٢- الأدب المفرد للبخاري - حديث أكاديمي - باكستان.
- ٣- البداية والنهاية لابن كثير - تحقيق الدكتور أحمد أبو ملح و آخرون - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٨٥ م.
- ٤- بينات الرسول ومعجزاته للشيخ عبد المجيد الزنداني - طبع مركز البحوث بجامعة الإيمان - ط الخامسة - ٢٠٠٤ م.
- ٥- تاريخ الإسلام للذهبي - تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري - دار الكتاب العربي - ط الأولى - ١٩٩٣ م.
- ٦- التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر - المكتب الإسلامي - ط الثانية - ١٩٨٥ م.
- ٧- تحفة الأحوذى لشرح جامع الترمذي - للمباركفوري - مؤسسة قرطبة.
- ٨- تذكرة الحفاظ للذهبي - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٩- الترغيب والترهيب للمنذري - ضبط مصطفى محمد عمارة - دار إحياء التراث الإسلامي - قطر.
- ١٠- تفسير القرآن العظيم لابن كثير - دار المعرفة - بيروت - ١٩٩٤ م.
- ١١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٧ م.
- ١٢- جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر - تقديم عبد الكريم الخطيب - دار الكتب الحديثة - القاهرة.
- ١٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت - ١٩٨٨ م.
- ١٤- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام لابن القيم - تحقيق زائد النشيري - دار عالم الفوائد - ط الأولى - ١٤٢٥ هـ.

- ١٥- الدر المنثور في التفسير المأثور لجلال الدين السيوطي - دار الفكر - ط الأولى - ١٩٨٣ م.
- ١٦- دلائل النبوة لأبي نعيم الأصفهاني - دار المعرفة - بيروت.
- ١٧- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري - دار الكتب الثقافية - ط الأولى - ٢٠٠٤ م.
- ١٨- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني - تعليق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر.
- ١٩- سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي - تحقيق أحمد محمد شاكر - المكتبة الإسلامية.
- ٢٠- سنن الدارمي للدارمي - تحقيق عبد الله هاشم يماني - حديث أكاديمي - ١٩٨٤ م.
- ٢١- سنن ابن ماجه لابن ماجه - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي - دار الفكر.
- ٢٢- السيرة النبوية لابن كثير - تحقيق مصطفى عبد الواحد - دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ٢٣- سيرة النبي ﷺ لابن هشام - تعليق محمد محي الدين عبد الحميد - دار الفكر.
- ٢٤- شرح السنة للبغوي - تحقيق شعيب الأرناؤوط - المكتب الإسلامي - ط الأولى - ١٩٧١ م.
- ٢٥- شرح صحيح مسلم للنووي - تحقيق خليل مأمون شيجا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة - ١٩٩٦ م.
- ٢٦- شرح معاني الآثار للطحاوي - دار الكتب العلمية - بيروت - ط الأولى - ١٩٧٩ م.

- ٢٧- صحيح ابن حبان - انظر: الاحسان بترتيب صحيح ابن حبان.
- ٢٨- شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي.
- ٢٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض - دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٣٠- شمائل الرسول لابن كثير - مؤسسة علوم القرآن - بيروت - ط الثانية - ١٩٨٨ م.
- ٣١- الشمائل المحمدية للترمذي - تعليق عزت عبيد الدعاس - دار الحديث - ط الثانية - ١٩٨٥ م.
- ٣٢- صحيح البخاري مع شرح فتح الباري - البخاري - دار الريان للتراث - ط الثانية ١٩٨٧ م.
- ٣٣- صحيح مسلم مع شرح النووي لمسلم - تحقيق خليل مأمون شيحا - دار المعرفة - بيروت - ط الثالثة - ١٩٩٦ م.
- ٣٤- صحيح الجامع الصغير للألباني - المكتب الإسلامي - ط الثالثة - ١٩٨٢ م.
- ٣٥- ضعيف الجامع الصغير للألباني - المكتب الإسلامي - ط الثالثة - ١٩٧٩ م.
- ٣٦- الطبقات الكبرى لابن سعد - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٩٨٠ م.
- ٣٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني - دار الريان للتراث - ط الثانية - ١٩٧٨ م.
- ٣٨- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير للشوكاني - دار المؤيد - الرياض - ط الأولى ١٩٩٥ م.
- ٣٩- الفصل في الملل والنحل لابن حزم الظاهري.
- ٤٠- كشف الأستار عن زوائد البزار الهيثمي - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي - مؤسسة الرسالة - ط الأولى - ١٩٨٤ م.

أبحاث إجلال النبي ﷺ بين الحق والخلق: دراسة تحليلية د. عبد الرحمن إبراهيم الحميسي

- ٤١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى - دار الكتاب العربى - بيروت - ط
الثالثة - ١٩٨٢ م.
- ٤٢- المستدرک على الصحيحین للحاکم النيسابورى - دار الكتاب العربى -
بيروت.
- ٤٣- المسند للإمام أحمد ابن حنبل - دار الفكر - المكتب الإسلامى - ط الثانية
- ١٩٧٨ م.
- ٤٤- مسند البزار - انظر: كشف الأستار.
- ٤٥- مسند الطيالسى للطيالسى - دائرة المعارف النظامية القائمة - الهند - ط
الأولى - ١٣٢١ هـ.
- ٤٦- المسند لأبى يعلى الموصلى - تحقيق حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث -
ط الأولى - ١٩٨٤ م.
- ٤٧- المعجم الكبير للطبرانى - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفى .
- ٤٨- الموطأ للإمام مالك - تعليق محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث
العربى .

* * *

